مكتبة الشباب

سجين زندا

أنتوني هوب



مكتبة الشباب

سجين زندا

مكتبة الشباب

سجين زندا

تأليف الروائي الانكليزي
انطوني هوب هوكنز
ترجمة
محمد العزب موسى



دار المعارف للطباعة و النشر
سوسة - تونس

الرقم المسند من طرف الناشر 547 / 94
تدمك : 1 ـ 359 ـ 16 ـ 9973 : ISBN

المؤلف

أنتوني هوب روائي بريطاني اسمه بالكامل سير أنتوني هوب هوكنز، ولد في لندن عام 1863 وتلقى دراسة قانونية بالجامعة اشتغل بعدها بالمحاماة.

كان انتوني هوب منذ شبابه الباكر يهوى الكتابة والأدب، ووضع عدة مؤلفات لقيت نجاحا محدودا. حتى عام 1894 حين ظهرت روايته « سجين زندا » التي أحرزت نجاحا شعبيا منقطع النظير وغيرت مصير مؤلفها، فبعد أن كان أنتوني هوب يتصور أن مستقبله يكمن في المحاماة والسياسة قرر التفرغ كلية للأدب وتكريس بقية حياته لتأليف الكتب مكتفيا في اسمه بالاسمين الأولين فقط : أنتوني هوب.

ولكن بالرغم من أن أنتوني هوب وضع بعد ذلك كتبا كثيرة الا أن روايتيه « سجين زندا » و« روبرت أوف هنتزو » هما الوحيدتان اللتان أحرزتا شهرة عالمية، وتم اخراجهما في عدة أفلام سينمائية خلال القرن الحالي.

وتدور الروايتان في دولة خيالية سماها المؤلف « روريتانيا » .

ويسر سلسلة « روائع الأدب العالمي للناشئين » أن تقدم رواية « سجين زندا » التي كانت سببا في شهرة مؤلفها ، والتي ظلت مقررة سنوات كثيرة على طلبة المرحلة الثانوية في مصر وغيرها من البلاد العربية .

شخصيات الرواية :

روداف راسنديل : سيد بريطاني .

لورد روبرت : شقيق رودلف .

الملك رودلف الخامس : ملك روريتانيا من أسرة الفبرج .

الدوق مايكل أوف استرلسو : الأخ الأصغر للملك وعدوه اللدود .

الكولونيل سابت : صديق الملك ومستشاره .

فريتز فون تارلنهايم : صديق آخر للملك .

المارشال ستراكينز : قائد الجيش وهو مخلص وموال للملك .

روبرت أوف هنتزو : رئيس الأتباع « الستة » للدوق مايكل

لونجرام : أحد الأتباع « الستة » للدوق مايكل .

كرافشتاين : أحد الأتباع « الستة » للدوق مايكل.
ديتشارد : [انجليزي] أحد الأتباع « الستة » للدوق مايكل.
بيرسونين : [بلجيكي] أحد الأتباع « الستة » للدوق مايكل.
دي جوتيه : [فرنسي] أحد الأتباع « الستة » للدوق مايكل.
برننشتاين : أحد رجال الملك.
ماكس هولف : أحد رجال الدوق.
جوهان : شقيق ماكس وحارس غابة الدوق.
جوزيف : : خادم الملك.
انطوانيت دي موبان : سيدة تحب الدوق مايكل.
الكونتيسة هيلجا : وصيفة الأميرة ويحبها فيتز.
المستشار.
الكاردينال.
رئيس الشرطة.
صاحبة فندق وبناتها.
امرأة في كوخ الصيد.
فتاة قروية.

الفصل الأول

قالت زوجة أخي ذات صباح ونحن على مائدة الافطار :

ـ رودلف . . هل ستبقى هكـذا طول حياتك دون أن تفعل شيئا ما ؟

قلت : ـ عزيزتي روز . . لماذا أفعـل شيئا ما ؟ . . ان وضعي مريح جدا، لدي ما يكفيني من المال أو، ما يكاد يكفي حاجاتي (فلا أحد لديه ما يكفيه تماما كما تعلمين) كما أنني أتمتع بمركز اجتماعي ممتاز، فأخي هو اللورد برلسدون، وزوجة أخي هي أجمل سيدة في العالم، في هذا ما يكفي بالتأكيد !

فقالـت : ـ أنت الآن في التاسعة والعشرين . . ولا تفعل شيئا سوى أن . .

قلت مكملا :

ـ أسافر هنا وهناك ؟ هذا صحيح . . ان أسرتنا لا تحتاج أن تفعل شيئا !

لابد أن هذه الملاحظة ضايقت روز، لأن كل أحد يعرف أنها رغم جمالها البالغ الا أن أسرتها ليست في عراقة أسرة راسنديل . . ولكنها إلى جانب جمالها الأخاذ تملك ثروة كبيرة. وقد كان أخي روبرت، لورد برلسدون، حكيما بما فيه الكفاية فلم يهتم بمدى عراقة أسرتها.

على أية حال، إذا كانت حياتي تبدو لا قيمة لها في نظر روز الا أنها كانت مليئة بالبهجة والمعرفة. فقد تعلمت في مدرسة ألمانية ودخلت جامعة ألمانية، وأنا أتحدث الألمانية بطلاقة كالانجليزية تماما، كما أنني أجيد الفرنسية، وأعتقد أيضا أنني أجيد المبارزة بالسيف، وأجيد التصويب بالمسدس، وأستطيع أن أركب أي حصان، وأعصابي هادئة جدا، أو بمعنى آخر أن رأسي بارد للغاية، بالرغم من الشعر الأحمر الملتهب الذي يغطيه.

قالت زوجة أخي : ـ الفرق بينك وبين روبرت أنه يقوم بواجبات مركزه، أما أنت فتنتهز الفرص التي يتيحهامركزك !

أجبتها قائلا : ـ ان رجلا له مثل حيويتي تصبح لديه الفرص في مقام الواجبات !

قالت وهي تلقي برأسها إلى الخلف :ـ هذا كلام فارغ !

ثم أضافت بعد قليل : ـ ان سير جاكوب بوروديل يقدم

لك الفرصة التي تحتاجها تماما.
ـ ألف شكر له!
قالت روز: ـ ان سير جاكوب سيكون سفيرا بعد ستة أشهر، وقد أخبرني روبرت أن سير جاكوب ينوي أن يأخذك ملحقا معه.. أرجوك أن تقبل هذا العرض يارودلف.. من أجل خاطري.

ـ والآن، عندما تفعل زوجة أخي الجميلة ذلك.. تتقدم بهذا الرجاء، وقد عقدت بين حاجبيها الجميلين وضمت يديها الصغيرتين، من أجل انسان كسول مثلي ليس عليها أية مسؤولية نحوه، حينئذ لابد أن يستيقظ ضميري. وإلى جانب ذلك فكرت أن مثل هذا العمل يمكن أن يشوقني فعلا.. لذلك قلت: ـ زوجة أخي العزيزة.. إذا لم يحدث مايمنعني خلال هذه الأشهر الستة، وإذا قدم لي سير جاكوب هذه الدعوة، فليس هناك ما يمنع أن أذهب معه!

هتفت زوجة أخي: ـ أوه.. رودلف. كم يسرني أن أسمع ذلك.. أنا سعيدة!
هكذا أعطيت وعدي، ولكن فترة ستة أشهر ليست بالفترة القصيرة، وكنت أريد أن أجد شيئا مسليا أفعله

خلالها، فخطر لي فجأة أن أزور دولة روريتانيا، وكنت قد عرفت من الصحف أن رودلف الخامس سيتوج ملكا على روريتانيا في العاصمة استرلسو خلال الأسابيع الثلاثة القادمة، وستقام له حفلة تتويج كبرى، قلت في نفسي لماذا لا أذهب لأشاهدها.

لم أكن، لأسباب كثيرة، قد زرت هذه المملكة الهامة والمسلية للغاية التي لعبت رغم صغر حجمها دورا ليس بالصغير في مجرى التاريخ الأوربي، ويمكن أن تلعب مثل هذا الدور من جديد تحت حكم ملك قوي شاب مثل هذا الملك الجديد الذي يتحدثون عنه، لذا عزمت أمري على الفور وبدأت القيام باستعدادات السفر.

لم يكن من عادتي أن أخبر أقاربي أين سأذهب في رحلاتي الكثيرة التي أقوم بها، ولما كنت لا أريد أن يعارضني أحد في هذه الرحلة فقد أخبرتهم فقط بأنني ذاهب لجولة في جبال الألب، وقد سرت روز لذلك، وأصبحت أكثر سرورا عندما قلت أنني قد أضع كتابا عن المشاكل السياسية والاجتماعية في المنطقة التي سأزورها، فصاحت مسرورة :ـ هذا رائع .. أليس كذلك يا روبرت ؟

قال أخي روبرت :ـ هذه أفضل طريقة لتقدم نفسك إلى الحياة السياسية هذه الأيام.

وكان روبرت قد وضع هو نفسه، عدة كتب كانت مدخله إلى عالم السياسة.

وقالت روز بحماسة : ـ والآن . . عدنا أن تفعل ذلك.
قلت : ـ لا . . لن أعد . . ولكن إذا وجدت مادة كافية فسوف أفعل.
قال روبرت : ـ في هذا الكفاية.
قالت روز : أوه . . المادة ليست حجة!

ولكنها لم تستطع أن تحصل مني على أكثر من نصف وعد، والحقيقة أنه لم يكن يدور بخلدي مطلقا أن رحلتي في ذلك الصيف سوف تكتب في ورقة واحدة أو تستهلك قلما واحدا. وهذا يدل على أننا لا نعرف الكثير عما يخبئه لنا المستقبل، فها أنا الآن عاكف على هذه الأوراق تنفيذا لنصف وعدي بهدف تأليف كتاب عن رحلتي . . وان كان لا يتعلق بالألب، ولا يصلح كمقدمة عن الحياة السياسية . . الا من بعيد جدا ربما!
كما أنني أخشى ألا يرضي هذا الكتاب روز إذا أعطيته لها لقراءته . . ولكني لا أنوي أن أفعل ذلك!

* * *

في طريقي عبر باريس، جاء أحد الأصدقاء لمقابلتي في محطة القطار، وبينما كنا نتحدث قبل أن يقوم القطار تركني

فجأة وذهب ليتحدث إلى سيدة، تابعته بنظراتي. فوجدته يرفع قبعته تحية لسيدة ساحرة الجمال ترتدي ملابس أنيقة للغاية، في حوالي الثلاثين من العمر، طويلة سوداء الشعر، وعاد بعد دقيقة أو دقيقتين، وابتدرني قائلا :

- ستكون معك رفيقة سفر مدهشة . . انها انطوانيت دي موبان، يقولون ان دوق استرلسو - وهو شقيق الملك رودلف كما تعلم - يوليها اهتماما بالغا، انها أرملة، غنية وطموحة، من يدري ماذا تهدف إليه ؟ !

ولكن هذه الأرملة الجميلة لم تبد أي اهتمام بمعرفتي، إذ أنني لم أرها مرة أخرى رغم أننا نسافر في نفس القطار.

عندما وصلت إلى حدود روريتانيا نظر نحوي ضابط الجوازات كما لو كان يرى شبحا، ولكني لم أهتم، واشتريت بعض الصحف عرفت منها أنباء تؤثر بالتأكيد على تحركاتي، فقد ذكرت الصحف أن حفل التتويج تقرر تقديمه لسبب غير معروف، وانه سيتم بعد غد مما أحدث اضطرابا في المملكة كلها، وعلمت أن استرلسو مزدحمة للغاية وكل الغرف والفنادق فيها محجوزة وبالتالي فان فرصتي ضعيفة جدا في أن أجد مكانا يأويني دون أن أدفع ثمنا باهظا جدا.

ولذلك فقد قررت أن أتوقف في زندا، وهي بلدة صغيرة

تبعـد خمسين ميلا عن العاصمة، وحوالي عشرة أميال عن الحدود، وقد بلغها القطار في المساء، وقلت في نفسي سوف أقضي فيهـا يوم غد، الثـلاثـاء، أتمشى في التلال وأشاهد قلعتهـا الشهيرة، ثم أذهب بالقطار إلى استرلسو في صباح الاربعاء فأشاهد حفلة التتويج وأعود في المساء لأقضي الليلة في زندا.

وهكذا، غادرت القطار في زندا، وعندما كان القطار يمر أمـامي وأنـا واقف على الرصيف رأيت مدام دي موبان في مقعدها، كان من الواضح أنها في طريقها إلى استرلسو وأنها كانت أنصح مني فحجزت لنفسها مكانا مسبقا.

استقبلت في الفندق الصغير في زندا استقبالا طيبا، وهذا الفنـدق تديره سيدة عجـوز ممتلئـة الجسم وابنتاها، كانت النسوة الثلاث غاية في الطيبة والهدوء، ولاحظت أن السيدة العجوز مغرمة بالدوق الذي أصبح منذ وفاة الملك السابق سيدا على قلعة زندا والأراضي المحيطة بها، وكانت القلعة تقـوم شامخـة على تـل منحـدر عنـد نهايـة الـوادي علـى بعد ميل تقريبا من الفندق. وأخبرتني السيدة العجوز أنها تأسف لأن الدوق لن يكون على العرش بدلا من أخيه.

وقـالـت : ـ اننـا نعرف الدوق مايكل، لقد عاش بيننا

دائما، كل شخص في روريتانيا يعرف الدوق مايكل، ولكن الملك الجديد مجهول تقريبا، لقد كان دائما في خارج البلاد، ولا يعرفه واحد من كل عشرة حتى بمجرد الشكل.

وأضافت احدى الفتاتين :ـ وهم يقولون أيضا أنه حلق لحيته الآن وبذلك لن يعرفه أحد على الاطلاق!

صاحت الأم : ـ حلق ليحته ا من قال ذلك ؟

ـ جوهان، حارس غابة الدوق، لقد رأى الملك.

قالت المرأة تشرح لي الأمر :ـ نعم يا سيدي ان الملك هنا الآن يقيم في كوخ صيد الدوق داخل الغابة، ومن هنا سيذهب إلى استرلسو ليتوج صباح الاربعاء.

اهتممت بسماع ذلك وقررت ان أسير في الصباح التالي في اتجاه كوخ الصيد فربما تسنح لي الفرصة لرؤية الملك.

ـ كم أتمنى أن يظل في هذا الكوخ ويدع دوقنا يتوج يوم الاربعاء.

قالت احدى الفتاتين، وهي الأصغر والأجمل : ـ أما عني، فأنا أكره مايكل الأسود! انني أحب الشعر الأحمر الذي تتميز به أسرة الفبرج . . يقولون ان الملك شعره أحمر مثل . . مثل . .

وضحكت وهي تنظر نحوي . .
قالت السيدة العجوز : ـ ان الرجال لا يحبون الشعر الأحمر.
صاحت الفتاة : ـ ولكن النساء لهن رأى آخر.
قررت أن أتدخل لمنع المشاجرة بينهما، فسألت : ـ كيف يمكن أن يكون الملك هنا . . أليست هذه هي أرض الدوق كما تقولون ؟
ـ ان الدوق دعاه إلى هنا ، يا سيدي ، ليأخذ قسطا من الراحة حتى يوم الاربعاء ، وذهب الدوق بنفسه إلى استرلسو ليشرف على الاستعدادات الخاصة باستقبال الملك .

اذن فهما صديقان حميمان .
ألقت الفتاة الصغرى برأسها إلى الخلف وقالت : ـ نعم ، ان كلا منهما يحب الآخر كما يحب الرجل من ينافسه على نفس المكان ونفس الزوجة !
بدا الغضب على السيدة العجوز، وقلت أنا مسرعا :
ـ تقصدين بنفس المكان العرش على ما يبدو . . ولكن من هي نفس الزوجة ؟ كيف ذلك يا سيدتي الصغيرة ؟
ـ العالم كله يعرف أن مايكل الأسود، أي الدوق، على استعداد لأن يضحي حتى بروحه من أجل أن يتزوج ابنة عمه الأميرة فلافيا التي ستصير ملكة بزواجها من أخيه .

قلت : ـ حسنا . . لقد بدأتِ فيما يبدو أشعر بالأسف من أجل الدوق، ولكن على الأخ الأصغر أن يأخذ ما يتركه له الأخ الأكبر، هذه هي القاعدة، وأن يكون شاكرا للّه بقدر ما يستطيع . . .

قلت ذلك ضاحكا وأنا أفكر في مدام دي موبان ورحلتها إلى استرلسو.

سمعت وقع خطوات ثقيلة عند الباب ودخل رجل إلى حيث كنا نقف .

قالت المضيفة : ـ لدينا ضيف يا جوهان !

رفع جوهان قبعته تحية لي، ولكن في اللحظة التي وقع نظره على وجهي تراجع مبهوتا، كما فعل ضابط الحدود، كأنه يرى شيئا غريبا .

قالت البنت الكبرى : ـ ما الأمر يا جوهان ؟ هذا سيد مسافر جاء ليشاهد حفل التتويج .

تمالك الرجل نفسه، ولكنه ظل ينظر نحوي نظرة غريبة بل وبغيضة . .

قلت : ـ مساء الخير.

أجاب في صوت خفيض : ـ مساء الخير يا سيدي !

ضحكت الفتاة الصغرى وقالت : ـ انظر يا جوهان . . انه الشعر الذي تحبه لقد اندهش بسبب شعرك

يا سيدي . . ان هذا الشعر غير مألوف هنا في زندا .

وقال جوهان :

ـ أرجو عفوك يا سيدي !

قلت لهم جميعـا : « تصبحـون على خير» . . وقمت واقفـا، واصطحبتني الفتـاة الصغرى لتنير لي الطريق إلى غرفتي بينما ظل جوهان واقفا ينظر نحوي بغرابة .



وبينما كنا نصعد السلم، قالت الفتاة : ـ ان جوهان لا يحب لون شعرك يا سيدي . .

قلت : ـ ربما كان يفضل لون شعرك أنت.

قالت : ـ بل أقصد حمرة الشعر بالنسبة للرجل.

سألتها :ـ ماذا يهم اللون بالنسبة للرجل ؟

ـ لا أعرف يا سيدي ، ولكن أحب لون شعرك انه أحمر مثل أسرة الفبرج.

قلت : الشعر بالنسبة للرجل ليست له أهمية أكثر من هذه . .

وأعطيتها قبلة !

قالت الفتاة في خجل : ـ أرجو أن يكون باب المطبخ مغلقا.

قلت وأنا أتركها : وهذا ما أرجوه أنا أيضا.

ولكني عرفت فيما بعد أن الشعر بالنسبة للرجل أحيانا ما تكون له أهمية كبرى !

الفصل الثاني

في اليوم التـالي اكتشفت انني إذا سرت عشرة أميال في الغابة أستطيع أن أصل إلى السكة الحديدية مرة أخرى عن طريق محطة محلية صغيرة، لذلك ودعت صاحبات الفندق وبدأت أتسلق التل المؤدي إلى القلعة . . ومن هنا أنطلق في الغابة.

كانت قلعة تخلفت عن عصور قديمة، الجزء القديم منها لايزال في حالـة جيدة صالـحا تماما للاستعمال وحوله خندق عميق عريض مغمور بالمياه، وعلى الجانب الآخر بناء حديث جميل أقامه الملك الراحل وهو الآن بمثابة المقر الريفي لدوق استرلسو.

عنـدمـا اقـتربت لاحـظت أن الجزءين القديم والجديد متصـلان سويا بواسطة قنطرة تمر فوق الخندق المائي وهي الـوسيلة الـوحيدة للوصـول إلى الجزء القديم من القلعة،

ويمكن سحب هذه القنطرة عند الحاجة فيصبح الجزء القديم منعزلا تماما. أما الجزء الجديد فالوصول إليه عبر طريق عريض، وفكرت في نفسي أن الدوق مايكل يمكنه أن يكون آمنا تماما إذا عبر القنطرة إلى الجزء القديم من القلعة ثم رفع القنطرة من ورائه، عندئذ لن تستطيع اخراجه منها سوى فرقة من الجنود مزودة بالمدافع الثقيلة . . !

مررت بالقلعة وسرعان ما وجدت نفسي داخل الغابة فأخذت أسير حوالي ساعة أو أكثر في ظلها الظليل، كان المكان جميلا محببا، فالأشجار الضخمة تتلامس بأغصانها فوق رأسي وتسمح أحيانا لأشعة الشمس بأن تتخللها هنا وهناك، وبعد فترة جلست على جذع شجرة هاوية على الأرض وأخرجت غليوني ورحت أدخن وأستمتع بهدوء المكان، وبعد أن انتهيت من التدخين أخذتني سنة من النوم المريح غير ملق بالا لحقيقة أنني داخل الأملاك الخاصة بالدوق مايكل.

واستيقظت على صوت غليظ مرتفع :

ـ يا للشيطان . . احلق ذقنه . . يصير هو الملك !

فتحت عيني فوجدت رجلين يتفرسان في وجهي بدهشة شديدة، وكان الاثنان يرتديان ملابس الصيد ويحملان

بنادق، أحدهما يميل إلى القصر ويبدو على قوة هائلة، له رأس ضخم مربع وشارب كث رمادي اللون وعينان صغيرتان لونهما أزرق فاتح . . والآخر رجل نحيف متوسط الطول له شعر أسود وقسمات متناسقة، خمنت على الفور أن الأول جندي، وأن الثاني سيد مهذب معتاد على المجتمع الراقي ولكن فيه جانبا عسكريا أيضا، وقد ظهر فيما بعد أن تخميني كان في محله تماما.

تقدم نحوي الرجل الضخم ومن خلفه الرجل الآخر الذي رفع قبعته بأدب تحية لي، فقمت في بطء قائما على رجلي . .

ـ انه بنفس الطول أيضا . . !

تمتم بذلك الرجل الضخم وهو يقيس بنظره طولي الذي يبلغ ستة اقدام وبوصتين، ثم لمس قبعته باهمال، وقال لي :

ـ هل أستطيع أن أسألك ما اسمك ؟

قلت وأنا أبتسم : ـ بما أنكما اتخذتما الخطوة الأولى، فالمفروض أن تقدما أنتما نفسيكما لي.

ابتسم الشاب ابتسامة محببة، وقال : ـ هذا هو الكولونيل سابت، وأنا أدعي فريتز فون تارلنهايم، ونحن الاثنان في خدمة ملك روريتانيا.

انحنيت لهما، ورفعت قبعتي، وقلت : ـ وأنـــا رودلـف راسنديل، مسافر من بريطانيا، وكنت منذ عامين أو ثلاثة أعوام ضابطا في جيش جلالة الملكة فيكتوريا . .

أجاب تارلنهايم : ـ اذن فنحن جميعا اخوة في السلاح . . !

ومد نحوي يده فصافحته على الفور.

قال الكـولـونيل سابت بصوته الأجش : حسنا يا سيد راسنديل . . ربما أنت لا تعلـم انك تشبه ملكنا تماما . . !

جعلني ذلك أشعر بعدم الارتياح، وتذكرت على الفور نظرات ضابط الحدود وجوهان في اليوم السابق لو كنت أعلم ذلـك لترددت طويلا قبـل أن أزور روريتانيا ولكن، فات الوقت على أي حال الآن.

في هذه اللحظة تصاعد صوت مجلجل من الغابة وراءنا :

ـ فريتز ! أين أنت أيها الرجل ؟

استدار تارلنهايم، وقال بسرعة :

ـ انه الملك !

وضحـك سابت حين قفـز رجل في مثل سني من وراء جذع شجرة ووقف إلى جانبنا، عندما نظرت إليه صحت من

فرط الدهشة، وعندما رآني تراجع إلى الوراء مذهولا ، فلولا لحيتي من جهة وشعوره هو بمركزه كملك من جهة أخرى لكان ملك روريتانيا هو رودلف راسنديل . . وكنت أنا ، رودلف راسنديل ، ملك روريتانيا !

واستطاع الملك أن ينطق أولا ، قال :ـ كولونيل فريتز، من هذا السيد ؟

قال سابت بخشونة : ـ يبدو أن لك بديلا يا سيدي !

ولكن الملك لم يلبث أن تمالك دهشته، ونظر نحوي مرة أخرى، ثم انفجر في نوبة من الضحك المرح .

وصاح وهو يتقدم ليصافحني :

ـ أهلا بك يا أخي ! يجب أن تغفر لي دهشتي، اخبرني من أنت ، وإلى أين أنت ذاهب ؟

أخبرته ، ولكن بدا عليه الشك وأنا أقول له انني ذاهب إلى استرلسو في اليوم التالي، ثم أخذ يضحك من جديد . وصاح :

ـ فريتز . . فريتز . . انني على استعداد أن أدفع ألف جنيه مقابل أن أشاهد وجه أخي مايكل وهو يرانا معا نحن الاثنين !

قال فريتز ملاحظا : ـ إذا أردت الجد يا سيدي ، لا أعتقد انه من الحكمة أن يزور السيد إسنديل مدينة استرلسو

في هذا الوقت.

أشعل الملك سيجارة، وقال :

ـ وما رأيك أنت يا سابت ؟

زمجر الرجل العجوز قائلا : ـ لا ينبغي أن يذهب . .

قال الملك : ـ هل تقصديا كولونيل أنه قد يحدث خلط بيني وبينه في نظر الناس ؟

قال سابت : ـ يجب أن نلتزم الحذر.

عندئذ قلت : ـ كفى يا سيدي، انني سأغادر روريتانيا هذه الليلة !

أجاب الملك : ـ كلا . . بالتأكيد . . وأقولها صراحة كما يجب سابت، سوف يتناول السيد راسنديل عشاءه معي هذه الليلة وبعد ذلك فليحدث ما يحدث تعال أيها الرجل . . ان الانسان لا يعثر على أخ جديد له كل يوم !

وافق سابت وفريتز على رغبة الملك، وأخذنا نسير في الغابة، والملك يدخن سيجارة تلو أخرى وهو يتحدث بدون انقطاع، كان رفيقا مريحا ومسليا للغاية، وخرجنا من الغابة بعد حوالي نصف ساعة فوجدنا أنفسنا أمام كوخ صيد مقام بطريقة خشنة، يتكون من طابق واحد ومصنوع من الخشب، وخرج خادم لمقابلتنا، وشاهدت أيضا امرأة عجوزا ممتلئة الجسم علمت فيما بعد أنها أم جوهان حارس الغابة .

سأل الملك : ـ هل العشاء جاهز يا جوزيف ؟
أجاب الخادم : ـ أجل يا صاحب الجلالة .
وسرعان ما جلسنا إلى مائدة حافلة بأطيب الطعام ، ونادى الملك طالبا النبيذ .
قال فريتز : ـ تذكر ما ينتظرنا في الغد يا سيدي . . . ان علينا أن نرحل في وقت مبكر.
وضحك سابت قائلا : ـ اجل . . غدا !
شرب الملك في صحتي وهو يدعوني أخاه الجديد ورددت أنا قائلا : عاشت أسرة الفبرج !
كان الطعام جيدا ووفيرا ، أما النبيذ فكان فوق كل مديح أو ثناء، فأخذنا نعب منه بشغف وراحت سدى كل محاولات فريتز لايقاف الملك عن الشرب ، والواقع أن فريتز نفسه لم يستطع أن يتجنب اغراء النبيذ فراح يعب منه هو الآخر ولم يمض وقت طويل حتى شعرنا اننا ممتلئون بالنبيذ بأكثر مما ينبغي . .

أخذ الملك يتكلم عما سوف يفعله في المستقبل، وراح سابت يتحدث عما فعله في الماضي ، واختار فريتز أن يتحدث عن الفتيات الجميلات، بينما رحت أنا أمتدح عظمة روريتانيا . . كنا جميعا نشرب ونتكلم ونسينا كل شيء عن الغد .

وأخيرا اعتدل الملك في مقعده وقال انه شرب بما فيه الكفاية. ولكن عند ذلك برز الخادم جوزيف ووضع أمامنا زجاجة رائعة من النبيذ المعتق. وقال : ـ أمرني صاحب السمو دوق استرلسو أن أقدم هذه الزجاجة للملك عندما يأنف جلالته من كل الأنبذة الأخرى.

صاح الملك :

ـ حسنا فعل أخي مايكل ! أنزع السدادة يا جوزيف ! ختامه مسك !

رفع الملك الزجاجة إلى شفتيه وذاق رشفة من نبيذها، ثم التفت إلينا وقال :ـ أيها السادة، أصدقائي، رودلف أخي، أعطيكم كل شيء حتى نصف مملكة روريتانيا، ولكن لا تطلبوا مني قطرة واحدة من هذه الزجاجة الرائعة . . انني أشرب في صحة ذلك الوغد . . مايكل الأسود !

وأمسك الملك بالزجاجة وأفرغ ما فيها في جوفه حتى آخر قطرة منها، ثم ألقى بالزجاجة فحطمها في الحائط، وكان صوت تكسير الزجاج آخر صوت سمعته لمدة ساعات كثيرة، فقد رحنا جميعا نغط في نوم عميق.

* * *

استيقظت من نومي فجأة مبتلا من الرأس إلى القدم. وشاهدت سابت العجوز ممسكا بجردل في يده بعد أن أفرغ ماءه فوقي، وإلى جانبه فريتز جالسا على المائدة باهتا كالشبح قفزت على قدمي مغيظا وصحت في سابت:

ـ ما أسخف دعابتك!

ورحت أمسح الماء عن عيني وشعري.

أجاب سابت: ـ ليس هناك وقت للعراك، لم يكن هناك شيء آخر يمكن أن يوقظك، ان الساعة الآن الخامسة.

فصحت مرة أخرى: ـ وماذا يعني ذلك لي؟

تدخل فريتز في الحديث وهو يقوم من المائدة ويمسك بذراعي:

ـ راسنديل.. انظر!

نظرت إلى حيث أشار.. كان الملك ممددا على الأرض، وقد احمر وجهه فصار في حمرة شعره وكان تنفسه ثقيلا. ركله سابت بقدمه بدون احترام ولكنه لم يحرك ساكنا، ورأيت أن وجهه ورأسه مبللان بالماء مثلي.

وقال فريتز: ـ لقد أمضينا نصف ساعة نحاول ايقاظه بلا جدوى.

انحنيت عليه أجس نبضه، فوجدته بطيئا جدا.

قلت: ـ لابد أن الزجاجة الأخيرة التي شربها كانت تحوي

مخدرا . . يجب أن نستدعي الطبيب .

زمجر سابت قائلا :

ـ لا يوجد طبيب واحد على مسافة أقل من عشرة أميال من هنا، ثم ان ألف طبيب ليس في قدرتهم أن يجعلوه يصل إلى استرلسو اليوم .

صحت : ـ وماذا عن التتويج ؟

قال فريتز : ـ في امكاننا ابلاغهم بأن الملك مريض ولن يستطيع أن يتوج اليوم .

ضحك سابت العجوز بطريقة مذرية وقال :

ـ إذا لم يتوج اليوم ، فلن يتوج إلى الأبد !

سألت : ـ لماذا ؟

ـ ان الأمة كلها تنتظره هناك ، ونصف الجيش تابع لمايكل الأسود الذي يتولى قيادته ، فهل في امكاننا أن نقول لهم ان الملك سكران إلى درجة انه لا يستطيع الحركة ؟

قلت مصححا : ـ بل نقول انه مريض.

قال سابت العجوز بنفس الضحكة المذرية :

ـ مريض ؟ ! ان الناس يعرفون مرضه جيدا فقد أصيب كثيرا من قبل بنفس المرض !

ثم التفت سابت نحوي وقال :

ـ هل تعتقد أن الملك مخدر ؟

ـ بكل تأكيد.

ـ اذن من الذي خدره ؟ انه مايكل الأسود بكل تأكيد، والسبب ؟ أن يمنعه من الحضور للتتويج.

وواصل حديثه متوجها إلى فريتز : ـ أنت تعلم أن نصف إسترلسو يفضل مايكل ملكا. انني أؤكد لك أنه إذا لم يتوج رودلف الخامس ملكا على روريتانيا اليوم سوف يأخذ محله مايكل الأول !

ظللنا جميعا صامتين لمدة دقيقة أو دقيقتين، ثم التفت سابت نحوي وقال : ـ كلما تقدم الانسان في العمر يصبح أكثر اعتقادا في القدر . . ان القدر قد ارسلك إلى هنا . . والقدر سوف يرسلك الآن إلى استرلسو.

قفزت صائحا : ـ يا الهي !

ونظر فريتز نحوي وقد أطلت من عينيه نظرة اهتمام مفاجئة.

قلت : هذا مستحيل . . سوف يكشفون الخدعة.

قال سابت : ـ هي مخاطرة بدون شك، ولكن أؤكد لك أن أحدا لن يشك فيك . . إذا حلقت ذقنك . . هل أنت خائف ؟ !

ـ سيـــدي ؟

ـ تعال يا بني . . سامحني . . أقسم لك أنك ان لم تذهب

فان مايكل الأسود سوف يجلس على العرش هذه الليلة، وسيرقد الملك إلى الأبد في السجن أو في قبره . .

قلت : ـ الملك لن يغفر لنا إذا فعلنا ذلك .

ـ هل نحن نساء ؟ من يهتم بغفرانه أو عدم غفرانه ؟ وأخذت الثواني تمر . . خمسون . . ستون . . سبعون . . ويبدو أن نظرة معينة طافت على وجهي ، فقد أمسكني سابت من يدي وصاح : ـ هل تذهب ؟

قلت : ـ نعم ، سوف أذهب !

وألقيت نظرة على شبيهي . . الملك الممدد على الأرض بلا حراك . .



الفصل الثالث

مرت الساعتان التاليتان فيما يشبه الحلم، وقد كنت محظوظا بوجود سابت إلى جانبي ليفكر من أجلي، ومن أجل فريتز أيضا. لقد كان سابت العجوز يفكر في كل شيء، استدعى جوزيف وأمره أن يحلق إلي ذقني، وحمل الملك إلى قبو النبيذ بأسفل الكوخ حيث ألقاه هناك، وشك في أن المرأة، أم جوهان، كانت تنصت إلى محادثتنا من وراء الباب فقام بتقييدها ووضع منديلا في فمها وأغلق عليها غرفة أخرى من غرف القبو.

قال فريتز : ـ والحرس ! ماذا نفعل عندما يأتون ؟ سوف يكتشفون كل شيء.

وأوضح لي سابت الأمر قائلا :

ـ ان مايكل سيرسل ثلة من الحرس لتصحب الملك إلى استرلسو، ولكننا سنذهب بدونهم، سوف نأخذ القطار من هوفباو بدلا من زندا وعندما يأتون يكون الطير قد فر !

قلت : ـ إذا كانوا يعلمون بخطط مايكل فانهم سوف يشكون في أن شيئا ما قد حدث !

ثم ارتديت ملابس الملك البيضاء، وارتدى سابت وفريتز ملابسهما، وأعطى سابت أوامر مشددة لجوزيف بأن يحرس القبو حتى نرجع. وبعد ذلك قفزنا إلى ظهور خيولنا ـ أقصد خيول الملك ـ ورحنا نركض قاطعين طريقنا وسط الغابة.

في أثناء الطريق أخذ سابت يشرح لي بقدر الامكان كل شيء عن حياة الملك السابقة، أسرته، ما يحب وما يكره، أصدقاؤه، مرافقوه، خدمه، كما تحدث عن قواعد السلوك في بلاط روريتانيا، ووعد أن يكون إلى جانبي في كل دقيقة خلال اليوم. أما فريتز فقد التزم الصمت، كان يسير بحصانه كأنه في حلم.

وصلنا إلى محطة القطار، واستطاع فريتز أن يستعيد وعيه بعض الشيء بقدر ما يمكنه من أن يشرح لناظر المحطة المندهش أن الملك غير خططه، وكنا قد وصلنا بالفعل في اللحظة المناسبة إذ سرعان ما وصل القطار ينفث الدخان . .
وبمجرّد أن جلسنا آمنين في احدى عربات الدرجة الأولى، عاد سابت إلى دروسه يواصل اخباري بكل ما يتعلق بشؤون الملك. نظرت إلى ساعتي ـ أقصد ساعة الملك ـ ورأيت اننا بعد الثامنة بقليل.
قلت وأنا أفكر فيما قد يجري الآن داخل الكوخ : ـ ترى

ماذا يكون الموقف لو أنهم اكتشفوا ما جرى ؟

قال سابت : ـ لا فائدة من التفكير في ذلك الآن . . اليوم عليك أن تفكر في حقيقة واحدة فقط هي أنك الملك .

في الساعة التاسعة والنصف نظرت من نافذة القطار، فرأيت مدينة كبيرة ترتفع فيها الأبراج والمنازل .

ضحك سابت وهو يشير بيده :

ـ هذه هي عاصمتك . . يا صاحب الجلالة .

ثم مال إلى الأمام وأخذ يجس نبضي وتمتم : سريع إلى حد ما .

صحت : ـ انني لست مصنوعا من الحجر ؟

أجاب : ـ حسنا . . لا بأس بك، أما عنك أنت يا فريتز فيجب أن نقول انك قد أصبت بالبرد . . انك ترتعش كورقة شجر في مهب الرياح . .

ومضى سابت قائلا :

ـ لقد وصلنا مبكرين نصف ساعة عن المتوقع ، سوف أرسل اشارة عن وصولك . . وفي هذه الاثناء . .

قلت : ـ وفي هذه الأثناء . . الملك يريد طعام الافطار .

ضحك سابت العجوز، وقال : ـ انك تتحدث تماما مثل أسرة الفبرج .

توقف القطار، فقفز فريتز وسابت وخلعا خوذتيهما وفتحا لي الباب، حاولت أن ازدرد سريعا قطعة من اللحم وقفت في حلقي، ثم ثبت خوذتي جيدا فوق رأسي، ونزلت من القطار.

ساد الهرج والمرج في كل مكان، رأيت رجالا يجرون هنا وهناك، وجاء رجال اصطحبوني إلى المطعم، ورجال آخرون يركبون خيولهم ويجرون من مختلف الاتجاهات، وما أن رشفت آخر قطرة في فنجان قهوتي حتى بدأت أجراس المدينة تدق، وطرقت أذنى أصوات فرقة موسيقية وهتافات عالية، وسمعت الجماهير تهتف :

« حفظ الله الملك » !

ابتسم سابت وتمتم : ـ الله يحفظهما هما الاثنين !

ثم همس في أذني : تشجع يا صديقي.

عندما خرجت من المطعم يحيط بي فريتز وسابت وجدت مجموعة من الضباط وكبار المسؤولين يقفون في انتظاري، وعلى رأسهم رجل طويل القامة يرتدي ملابس عسكرية.

ـ « مارشال ستراكينز ».

همس سابت بالاسم قرب أذني، وعرفت أنني في حضرة قائد جيش روريتانيا.

وكان يقف خلفه رجل قصير يرتدي ملابس طويلة فضفاضة.

همس سابت: - «المستشار» . .

اذن فهذا هو رئيس وزرائي.

حياني المارشال ستراكينز بكلمات رسمية قليلة، ثم اعتذر لي عن غياب الدوق أوف استرلسو، قال انه شعر بمرض مفاجئ ولم يستطع المجيء إلى المحطة، وطلب الاذن بأن ينتظرني في الكاتدرائية أجبت بأنني آسف لسماع ذلك، ثم تقدم لتحيتي عدة رجال آخرين، ولم يبد على أي واحد منهم أي ارتياب في حقيقتي، بدأت أشعر بالارتياح والثقة، أما فريتز فكان لايزال شاحب اللون وكانت يده ترتجف وهو يصافح المارشال.

ثم سرنا في موكب نحو مدخل المحطة، وهناك امتطيت جوادي، وركب المارشال على يميني، وسابت على يساري، وركب كبار المسؤولين عرباتهم وساروا خلفنا.

ان مدينة استرلسو نصفها قديم ونصفها حديث الشوارع الحديثة العريضة والمنازل الأنيقة تحيط بالمدينة القديمة ذات الشوارع الضيقة الملتوية . . وفي الدوائر الخارجية من المدينة تعيش الطبقات العليا من الموظفين. وفي الدوائر الداخلية

توجد المحلات والمتاجر ومن خلفها شوارع ضيقة مزدحمة بالفقراء غير الموالين للملك بل وذوي الميول الاجرامية وكنت قد عرفت من سابت أن المدينة الحديثة تؤيد الملك والمدينة القديمة تفضل مايكل أوف استرلسو ولا تخشى اظهار ذلك.

كان المنظر رائعا ونحن نجتاز الطريق الرئيسي العريض المؤدي إلى القصر الملكي. فأنا هنا في وسط شعبي الموالي، البيوت مزينة بالاعلام، وعلى طول الطريق إلى الجانبين احتشدت الجماهير تهتف وتلوح بأيديها، حتى أنني بدأت أشعر حقا بأنني الملك، وفجأة رفعت عيني بالصدفة إلى احدى النوافذ فشاهدت مدام انطوانيت دي موبان، السيدة التي سافرت معي في نفس القطار من باريس.

رأيتها تميل إلى الأمام وتتفرس في وجهي، فوجدتني أتحسس مسدسي خوفا من أن تصيح : أيها الناس.. هذا ليس الملك!!

ولكن الموكب مضى في طريقه، وبعد عدة دقائق أعطى المارشال أمرا فوجدت الحرس الراكب يحيط بي، والتف الفرسان في حلقة حولي، كنا على وشك دخول الحي الفقير الموالي للدوق مايكل، وقد أوضح لي هذا العمل حالة المشاعر في المدينة اكثر من كل الكلمات التي قالها سابت.

سألت : ـ لماذا هذا التغيير أيها المارشال .

قضم المارشال طرف شاربه الأبيض وتمتم :

ـ هذا أسلم !

أوقفت حصاني، وقلت : ـ دع كوكبة الفرسان تسير إلى الامام مسافة خمسين ياردة، وأنتم أيها المارشال والكولونيل سابت والأصدقاء الآخرون انتظروا هنا حتى أبتعد انا خمسين ياردة، ثم تسيرون ورائي محافظين على هذه المسافة . . انني أريد أن أثبت لشعبي أن الملك يثق فيهم .

وضع سابت يده على ذراعي ليسكنني، ولكني أبعدت يده بشدة، وصحت في المارشال الذي بدا مترددا في تنفيذ أوامري :

ـ هل فهمت ما أقول ؟

قضم المارشال شاربه مرة أخرى، وأعطى أوامره الجديدة طبقا لما طلبت، ورأيت سابت يبتسم في لحيته ويهز رأسه نحوي، ولاشك أن مركز سابت سيكون محرجا للغاية لو أنني قتلت في وضح النهار في شوارع استرلسو.

كانت تجربة ممتعة، فان سيري وحيدا جعلني أسمع بوضوح ملاحظات الجمهور، في أول الأمر كانت هناك همهمات غير واضحة، ثم بدأ البعض يهتفون لي، فقد كنت

أبـدو أنيقا للغاية في بزتي البيضاء، ولن يمنعني أي شعور بالتواضع من تقرير ذلك ا سمعت عددا من الناس يقولون عني أشياء سارة، ولكن معظم الناس التزموا الصمت، بينما كانت صورة أخي العزيز تطل من معظم النوافذ !

وصلنا أخيرا إلى الكاتدرائية حيث تجري مراسم التتويج . هنا بالطبع أشق جانب من مهمتي، فان أي خطا يمكن أن يكشفني، كما أن مايكـل ورجاله سيكونون هناك بالطبع، ترجلت من فوق الحصـان كأنني في حلم، والواقع ان كل شيء كان يبـدو غير واقعي أشبه بحلم خيالي يراه النائم، وسرت داخـل الكـاتـدرائية الجميلة القـديمة، وعيناي لا تكـادان تريان شيئـا أو تميزان أحدا بين هذه الجماهير التي احتشـدت في انتـظاري داخـل الكاتدرائية، بأغلى الثياب ولكني لاحـظت وجهـين فقط بوضـوح، فتاة شاحبة الوجه ولكنها بالغة الجمال ذات شعر أحمر متوهج شأن أسرة الفبرج، ورجلا أسود الشعر ذا عينين عميقتين داكنتين، عرفت على الفور انه مايكل الأسود وكان ينظر إلي كأنني شبح !

انني الآن لا أكاد أذكر شيئا من تفاصيل حفلة التتويج فيما عدا اللحظة التي تناولت التاج من الكاردينال ووضعته على رأسي، ثم صاح أحد الرجال ؛ « صاحبة السمو . . الأميرة فلافيا ! » .

انحنت لي الفتاة الجميلة الشاحبة وقبلت يدي ، وقبل أن أعرف ما أفعل وجدت الكاردينال في مواجهتي ثم جاء مايكل الأسود ، ورأيت سابت يبتسم في لحيته مرة أخرى ، كان أخي العزيز يرتجف كأنه ورقة شجر تعبث بها الريح ، ولكني لم ألحظ على وجهه أو وجه الأميرة أو أي أحد آخر أقل شك في أنني الملك .

ثم عدنا أدراجنا في شوارع المدينة إلى القصر الملكي ، كنت أركب عربة الآن وإلى جانبي الأميرة فلافيا ، وصاح رجل قليل الذوق « متى يتم الزواج ؟ » وقبل أن ينتهي من عبارته ضربه آخر في وجهه وهو يصيح « يحيا الدوق مايكل ! » فتغير لون وجه الأميرة ونظرت صامتة إلى الأمام . .

واجهت فجأة مشكلة ، هي كيفية التصرف ازاء الأميرة . لقد نسيت أن أسأل سابت عن مشاعري نحو الأميرة فلافيا ومدى العلاقة بينها وبيني ، أقصد بينها وبين الملك ، لذلك فضلت أن التزم الصمت ولكن بعد دقيقة أو دقيقتين التفتت الأميرة نحوي وقالت :

ـ هل تعرف يا رودلف . . أنك تبدو متغيرا شيئا ما اليوم .

لم أدهش لهذه الملاحظة بالطبع ، ولكني شعرت بعدم الارتياح ، ومضت هي تقول :

ـ انـك تبدو أكثر جدية، وأعتقد انك أنحف قليلا عما كنت عليه، هل يمكن أن تكون قد بدأت تأخذ الحياة بجدية . . أخيرا ؟

أخذت أبحث عن اجابة، وأخيرا همست :

ـ وهل يسرك هذا ؟

أجابت وهي تنظر نحوي :

ـ أوه . . أنت تعرف وجهة نظري في هذا الأمر.

ـ سوف أفعل كل ما يسرك !

ابتسمت، وتغـير لونها مرة أخرى، فشعرت انني ألعب دور الملك لصـالحه بطريقة مرضية، لذا مضيت قائلا وأنا صادق تماما هذه المرة :

ـ في الواقع يا ابنة عمي العزيزة ان شيئا في حياتي لم يؤثر في أكثر من أحداث اليوم.

فابـتـسمت مرة أخـرى، ثم بدت عليهـا الـرزانـة وهمست : ـ هل لاحظت مايكل ؟

ـ نعم . . يبدو عليه عدم الارتياح، أليس كذلك ؟

مضت قائلة :ـ أرجـوك، خذ حذرك، ينبغي أن ترقبه جيدا . . أنت تعرف.

قلت : ـ أعرف أنه يريد أن يحصل على ما حصلت أنا عليه.

وأضفت دون أن يكون لي أدنى حق في أن أقول ذلك نيابة عن الملك :

ـ ويريد أيضا أن يحصل على شيء لم أحصل عليه بعد، ولكني أتمنى الحصول عليه يوما ما.

لو كنت أنـا الملك لاعتـبرت أن ردها كان مشجعا، اذ همست الأميرة.



ـ أليس لديك من المسؤوليات ما يكفيك هذا اليوم يا ابن عمي ؟

وصلنا إلى بوابة القصر، وبدأت المدافع تطلق طلقاتها تحية لي : بانج ! بانج ! بانج ! ساعدت الأميرة على النزول من العربة، وأخذنا جميعا نصعد درجات السلم الواسعة بينما اصطف خدم القصر في انتظارنا، ودخلنا إلى غرفة المائدة البالغة الاتساع، فجلست على رأس المائدة، وجلست الأميرة إلى يميني، وأخي إلى يساري، كما جلس كل المسؤولين المهمين الآخرين على باقي الكراسي، وكان سابت يقف وراء الكرسي الذي أجلس عليه، ورأيت في الطرف البعيد للمائدة فريتز وقد جلس يشرب زجاجة من النبيذ إلى نهايتها .

عند ذلك طافت في مخيلتي صورة ملك روريتانيا الحقيقي، وهو ملقى بلا حراك في قبو النبيذ بكوخ الصيد . . وفكرت : ترى ماذا يفعل الآن ؟ .

الفصل الرابع

نحن الآن في غرفة استراحة الملك . . فريتز فون تارلنهايم، والكولونيل سابت، وأنا.

ألقيت بنفسي على كرسي وثير، وأشعل سابت غليونه، لم يهنئني على نجاحي ولكنه كان يبدو راضيا تمام الرضا عن كل شيء، أما فريتز فقد بدا شخصا جديدا تماما.
قال : ـ يا له من يوم سوف تتذكره طول حياتك ا أنا نفسي أتمنى أن أكون ملكا ولو لاثنتي عشرة ساعة، ولكن ألم تلاحظ أن مايكل الأسود صار أكثر سوادا عندما كنت أنت والأميرة تتبادلان حديثا طويلا بينكما ؟

هتفت قائلا :
ـ يا لها من جميلة هذه الأميرة !
زمجر سابت :ـ لا تهتم بأي امرأة . . هل أنت على استعداد للذهاب الآن ؟
أجبت وأنا أخذ نفسا عميقا :ـ نعم . . !

كانت الساعة قد بلغت الخامسة، وقلت ساخرا : عندما تبلغ الساعة الثانية عشرة لن أكون أكثر من رودلف راسنديل.

قال سابت : ـ سوف تكون محظوظا إن لم تصبح المرحوم رودلف راسنديل . . انني أحس برأسي يهتز فوق كتفي كل لحظة أقضيها في هذه المدينة، لقد تلقى مايكل أنباء من زندا، وذهب إلى غرفة جانبية ليقرأها ثم خرج وقد بدت عليه دلائل الجنون.

جعلتني هذه الأنباء أكثر رغبة في الذهاب بأسرع ما يمكن . وقلت :

ـ أنا جاهز فورا !

قال سابت :ـ والآن يا فريتز . . ان الملك سيأوي إلى فراشه، انه مجهد جدا ولا ينبغي أن يراه أحد قبل الساعة التاسعة من صباح الغد . . .هل تفهم . . لا أحد.

قال فريتز :

ـ أفهم تماما أيها الكولونيل.

أضاف سابت : ـ حتى ولا مايكل الأسود . . . إذا انفتح باب هذه الغرفة ونحن في الخارج فانك لن تظل على قيد الحياة حتى تحكي لنا ما حدث.

قال فريتز وقد بدأ يشعر بالاستياء : ـ اني لا أحتاج إلى من يذكرني بواجبي يا سيدي !

استكملت أنا وسابت تجهيز أنفسنا ، ارتديت أنا ملابس خادمه ، وذهبنا من باب سري إلى ممر مظلم قادنا في النهاية إلى طريق هادئ خلف حدائق القصر ، وهناك كان ينتظرنا رجل ومعه حصانان جيدان امتطيناهما دونما كلمة ، وانطلقنا .

واجهتنا بعض لحظات من الخطر ونحن نجتاز بوابة المدينة القديمة ولكن ما ان اصبحنا خارج المدينة حتى شعرنا بالأمن والطمأنينة ، كانت ليلة لطيفة ، وانطلقنا بأقصى سرعة ونحن لا نتبادل سوى أقل قدر من الحديث ، وعندما قطعنا حوالي خمسة وعشرين ميلا توقف سابت فجأة ، وقال :

ـ اسمع !

جاءت من خلفنا أصوات وقع أقدام خيل ، كانت الريح تهب في اتجاهنا وتحمل لناهذه الأصوات بسهولة .

قال سابت : فلنسرع !

وانطلقنا بأسرع ما نستطيع ، ثم توقفنا بعد مسافة أخرى لنتسمع ، ووضع سابت أذنه على الأرض .

وقال : ـ انهما فارسان . . انظر ، نحن الآن في مفترق طرق . . سوف نأخذ الطريق الأيمن ، الطريق الآخر يؤدي إلى القلعة ، وكل منهما حوالي ثمانية أميال .

اعترضت : ـ ولكنهم سيدركوننا.

كرر أمره لي بالنزول، فأطعت، كنا قد دخلنا غابة زندا قبل ذلك بقليل، وكانت الأشجار كثيفة من حولنا، فأخفينا جوادينا بعيدا عن الطريق واختبأنا ننتظر القادمين.

همست : ـ تريد أن تعرف من هما ؟

ـ نعم، وإلى أين هما ذاهبان.

بعد دقائق ظهر الفارسان، كان القمر بدرا كاملا، ورأيناهما بوضوح . .

قلت : ـ انه الدوق.

كان هو الدوق مايكل بالفعل، وكان معه رجل قوي ضخم الجثة، قيض لي أن أعرفه جيدا فيما بعد، هو ماكس هوف أخ جوهان حارس الغابة، وتوقف الرجلان عند مفترق الطرق.

سأل مايكل الأسود : ـ أي طريق نأخذ ؟

أجاب الرجل : ـ إلى القلعة يا صاحب السمو!

ـ لماذا لا نذهب إلى كوخ الصيد ؟

ـ أخشى أن يكون هناك كمين، إذا كان كل شيء على ما يرام فلماذا نذهب إلى الكوخ ؟ ، اني أخشى أن يكون هناك كمين.

قال الدوق : ـ حسنا . . إلى القلعة اذن!

وفي دقيقة انطلق الجوادان في الطريق الأيسر وظللنا نحن في مكاننا عدة دقائق.

قال سابت : ـ أترى ؟ لقد أبلغوه بأن كل شيء على ما يرام.

ـ ماذا يعني ذلك ؟

أجاب سابت متحيرا : ـ الله وحده يعلم، ولكن مهما كان الأمر فقد اضطرته رسالتهم للحضور من استرلسو بأسرع ما يستطيع.

ثم ركبنا جوادينا وقطعنا الأميال الثمانية المتبقية من الطريق الأيمن ونحن في حالة من الخوف والدهشة وأخذنا نردد :

ـ كل شيء على ما يرام ؟ ماذا يعني ذلك ؟

وأخيرا ظهر أمامنا الكوخ، ووصلنا إلى بوابته، كان كل شيء صامتا، ولم يخرج أحد للقائنا، وعندئذ أمسك سابت بذراعي وهو يقول :

ـ انظر هناك !

نظرت إلى حيث أشار، فوجدت تحت قدمي عدة مناديل مقطوعة وممزقة.

قال سابت : ـ انها المناديل التي استخدمتها في تقييد المرأة العجوز. .

سارعنا بجوادينا إلى الداخل، لاحظت أنه حتى سابت

فقـد هدوءه المعهـود، ونزلنا مسرعين إلى قبو الكوخ، كان الباب مفتوحا على آخره!!

قلـت : ـ لقد وجدوا المرأة العجوز . .

أجـاب سابت : ـ كان عليك أن تعـرف ذلـك من المناديل، ولكن أين جوزيف ؟ وماذا حدث للملك ؟

لم يستطع سابت أن يدخل الحجرة، لم يكن خائفا بقدر ما كان مشفقـا مما قد يراه في القبـو المـظلم أشعلت ضوءا ودخلت أولاً، في ركن القبو شاهدت جثة رجل ملقى على ظهره، وهناك جرح أحمر غائر في عنقه وحوله بركة من الدم المتجمد .

مشيت نحو الجثة وانحنيت فوقها بشعلة المصباح . . كان جوزيف المخلص، ومن خلفي كان يقف سابت يصيح في صوت غريب :

ـ الملك ؟ يا الهي ! أين الملك ؟

ألقيت ضوء المصباح في كل ركن من أركان القبو لم يكن هناك وجود للملك، قلت :

ـ الملك غير موجود في القبو.

* * *

مكث سابت عشر دقائق قبل أن يفيق إلى نفسه، ودقت

الساعة الواحدة في غرفة الطعام حيث دخل سابت الآن .
وقال في صوت خفيض :
ـ لقد أمسكوا بالملك .

أجبت : ـ أجل . . هذا يفسر الرسالة التي وصلت إلى مايكـل بأن « كل شيء على ما يرام »، ولاشك انها كانت لحظة عظيمـة بالنسبـة له، وهـذا يفسر معـالم الجنون التي ظهرت على وجهه عندما سمع بالخبر، كم أود أن أعرف ما يفكر فيه !

ـ ماذا يعني ذلك ؟ ماذا يفكر فيه الآن ؟
هممت واقفـا، وقلت : ـ يجب أن نرجع فورا، ونجمع كل ما نستطيع من الجنود في استرلسو ونعود لانقاذ الملك، ينبغي أن نحصل على مايكل . .
أشعل سابت العجوز غليونه، ولم يبد حراكا .
قلـت : ـ يجب أن نفعل شيئا . . ان الملك قد يتعرض للقتل ونحن جالسان هنا .

قال سابت : ـ هذه المرأة العجوز الملعونة . . لابد أنها لفتت انتبـاههم على نحو ما، انني أكاد أرى ماحدث لقد جاءوا إلى هنا لأخذ الملك أسيرا على فرض أنه مخدر، وإذا لم نكن قد ذهبنـا إلى اسـترلسو لكنا أنا وأنت وفريتز قد قتلنا

وأصبحنا في عداد الأموات. أما جوزيف المسكين فلم يكن له هذا الحظ!

ـ وماذا عن الملك؟

ـ من يعرف أين يوجد الآن؟

صحت: ـ هيا بنا، فلنذهب من هنا فورا.

طافت ابتسامة غريبة على وجه سابت العجوز، وقال: ـ نعم، سوف نذهب.. ان الملك سيكون في عاصمته غدا.

صحت: ـ أنت مجنون!

ـ لا يمكننا بالطبع أن نحكي للناس الخدعة التي قمنا بها.. لن تساوي حياتنا شيئا عندئذ.

ـ سيكون هذا ما نستحقه بالفعل.

تظاهر بأنه لم يسمعني، ومضى قائلا: ـ وماذا عن العرش؟ هل تظن ان النبلاء والشعب سيكونون سعداء لأننا جعلنا منهم حمقى؟ هل تظنهم سيسعدون بملك منعه السكر عن التتويج فأرسل خادما ليأخذ مكانه؟

قلت مغيظا: ـ أولا كان الملك مخدرا وليس سكرانا.. وثانيا أنا لست خادما.

قال سابت: ـ انني أعطيك الصورة التي سيقدمها مايكل

الأسود . . وأنت أيها الشاب إذا كنت رجلا حقا يمكنك أن تنقذ الملك . . عد إلى استرلسو وحافظ على عرشه دافئا من أجله .

ـ ولكن الدوق يعرف كل شيء الآن ، وخدمه يعرفون .

صاح سابت : ـ أجل يعرفون . . ولكنهم لن يتكلموا ! كيف يمكنهم أن يكشفوا حقيقتك دون أن يفضحوا هم ما فعلوه ؟ هل يمكنهم أن يقولوا : هذا ليس الملك لأننا خدرنا الملك وأخذناه أسيرا وقتلنا خادمه ؟

اتضح لي الموقف على الفور . . سواء عرفني مايكل أو لم يعرف حقيقتي فانه لن يستطيع أن يتكلم ، فهو ما لم يظهر الملك لن يستطيع أن يفعل شيئا وإذا ظهر الملك سوف تضيع كل طموحاته وآماله . . ولكن بدت لي متاعب أيضا .

قلت : ـ ولكن حقيقتي سوف تنكشف .

ـ ربما . . ولكن كل وقت له ظروفه الخاصة ، المهم الآن أن يكون هناك ملك في استرلسو والا فان المدينة ستكون ملكا لمايكل خلال أربع وعشرين ساعة ، وماذا تساوي حياة الملك حينئذ ، إذا استمر على قيد الحياة ؟

ـ سابت . . انهم قد يقتلون الملك بل ربما كانوا يقتلونه الآن .

ـ انهم لن يفعلوا إذا ذهبت إلى استرلسو، هل تتصور انهم يقتلونـه قبـل أن يزيحوك من الطريق ؟ ما جدوى أن يقتلوا الملك ويتركوك أنت على العرش إلى الأبد ؟

كانت هذه مغامرة أخطر وأوسع نطاقا من المغامرة الأولى، ولكن ليس أمامي شيء آخر أفعله وإلى جانب ذلك فأنا شاب وقد راقت لي هذه المغامرة.

صحـت : ـ سابت . . سوف أجرب !

ـ حسنا . . علينا الآن أن نذهب على الفور.

قلـت : ـ ينبغي علينا أولا أن ندفن جوزيف المسكين . .

ـ لا وقت أمـامنـا . . أوه . . حسنا . . كما ترى سوف أحضر الخيول . . أسرع.

حملت جوزيف إلى خارج القبو، ولكني التقيت بسابت عنـد البـاب. قال لي : ضعه على الأرض . . ان بعضهم سيأتي ليقوم بهذه المهمة بدلا منك.

أخـذني إلى النافذة . . رأيت على مسافة 300 ياردة في الـطريق إلى زندا مجموعة من ثمانية خيول تحمل فرسانا مع بعضهم مجاريف. لاشـك أن مايكـل أرسلهم لازالـة آثار جريمته. أشرت إلى الرجل القتيل على الأرض.

وقلـت : ـ كولونيل . . ينبغي أن ننتقم له .

ـ هذه مخاطـرة كبرى يا صاحب الجـلالـة، ولكن لا بأس . . إذا قتلونـا سوف نستريح على الأقل من التفكير، سأريك كيف يمكن أن نهاجمهم .

تسللنا بحذر من الباب الخلفي ، وركبنا خيلنا .

وسألني سابت : ـ هل مسدسك جاهز ؟

قلت : ـ ليس معي رصاص !

قال سابت ضاحكا : ـ اذن لعل سيفك عطشان الليلة ؟

ـ حسنا . . سوف نستعمل السيوف .

جردنـا سيفينا ، وبمجرد أن سمعنا صوت الرجال أمام الكـوخ همس سابت : الآن . فانـدفعنا بأسرع ما نستطيع حول الكوخ وفي لحظة كنا في وسط الجمع . أخبرني سابت فيما بعد أنه قتل رجلا منهم، وأنا أصدقه، ولكني لم أره أثناء المعركة أما أنا فقد شججت رأس رجل آخر يركب حصانا بني اللون وسقط على الأرض، ورأيت في مواجهتي رجلا ضخم الجثة وإلى جانبي رجلا آخر . . اندفعت وأغمدت سيفي في صدر الرجل الذي أمامي في نفس اللحظة التي أطلق الرجل رصاصة من مسدسه سمعتها تصفر وهي تمرق بجانب أذني .

كان الموقف أسخن من أن أستطيع البقاء طويلا فيه ، بل حتى لم يكن أمامي وقت كي أسحب السيف فتركته في جسد

الـرجل، وجريت بأقصى سرعتي خلف سابت الذي رأيته الآن على بعد عشرين ياردة، وعندما رفعت يدي لألوح بها في انشراح لم تلبث أن انخفضت في ألم، فقد مستها رصاصة أطلقت خلفي وشعـرت بالـدم يسيل من الجـرح، وخلال لحظات كنا قد اختفينا من المكان.

ضحك سابت قائلا : ـ حسنا . . ان جوزيف المسكين أصبح له رفاق يؤنسونه . . هل عرفك أحد منهم ؟

ـ نعم . . الـرجـل البـدين عرفني، فعندما كنت أغمد السيف في صدره سمعته يصيح قائلا « الملك ! » .

ـ حسنـا جدا . . ان على مايكـل الأسـود أن يتوقع منا بعض المتاعب !



الفصل الخامس

وصلنا إلى القصر مرة أخرى بدون مخاطر، وبالرغم من اننا كنا بعد الساعة الثامنة صباحا بقليل الا اننا لم نلتق الا بعدد قليل جدا من النـــاس، وكـنت قد تلثمت جيدا لأخفي وجهي، وعندما دخلنا غرفة استراحة الملك من الباب السري رأينا فريتز مستلقيا بملابسه كاملة فوق أريكة فانتفض قائما، وأقبل على يدي يقبلها ويقول :

ـ شكرا لله يا سيدي ا شكرا لله على سلامتك !

ضحك سابت الرجل القاسي العجوز وقال :

ـ حتى أنت خدعت فيه يا فريتز ؟

عنـدما فهم فريتز الموقف ارتمى مرة أخرى على الأريكة وقال : ـ أين الملك ؟

قال سابت : ـ صه . . أيهـا الأحمق ! لا ترفـع صوتـك هكذا ها هو الملك !

ثم أضاف في نبرة هامسة قاسية :

ـ لقد حصل عليه مايكل الأسود . . حيا فيما نعتقد !

تظاهرت أنا بأنني قمت من السرير، وتناولت افطاري، ثم أعطاني سابت درسا استغرق ثلاث ساعات من واجباتي، خيل لي أنه إذا كانت حياة الملك الحقيقي قاسية فان حياة الملك المزيف أكثر قسوة.

بعد ذلك جاء المستشار ليزورني ومعه أوراق من كل نوع ولون لأوقعها، وهنا أثبت جرح أصبعي انه نافع جدا إذا اتخذت منه ذريعة لعدم التوقيع وبذلك لا أثير أية شبهات من خط يدي، وكان علي أيضا أن أقابل عددامن السفراء، لقد كان يوما متعبا للغاية!

وأخيرا انفردت مع سابت وفريتز وجلسنا نفكر ونقرر ماذا نفعل بعد ذلك.

قال فريتز: ـ علينا أن نأسر مايكل الأسود على الفور.

قال سابت: ـ رويدك.. رويدك.. هل تظن أن مايكل الأسود يسقط ويترك الملك حيا؟

قلت: ـ وإلى جانب ذلك، كيف يمكن أن يقدم الملك، أي أنا، هكذا فجأة وبدون سبب واضح على مهاجمة أخيه العزيز مايكل؟ ان الناس لن يقبلوا ذلك.

سأل فريتز: إذن، هل نجلس ساكتين ولا نفعل شيئا؟

زمجر سابت: ـ بل لا يجب أن نفعل شيئا غبيا يؤدي إلى

عواقب وخيمة !

قلت : ـ يخيل لي أنني أنا ومايكل نشبه رجلين يرفع كل منهما مسدسه في وجه الآخر، ولا أحد منا يستطيع أن يأخذ الخطوة الأولى، ولكن بما أن مايكل هو المستفيد إذا فعل شيئا على وجه السرعة لذلك على أن أتوقع أن يتخذ هو الخطوة الأولى.

قال فريتز : ـ ان ثلاثة من أتباع مايكل الستة الشهيرين موجودون في استرلسو . .

سأل سابت باهتمام : ـ ثلاثة فقط . . اذن فالثلاثة الآخرون في ز نلدا يحرسون الملك، وهذا يعني أنه حي .

لمع وجه فريتز وقال : ـ بالطبع، إذا كان الملك قد مات لكان جميع الستة هنا مع مايكل . . انه قد عاد كما تعلمون . .

قاطعتهما :ـ أيها السادة . . أيها السادة . . من هم هؤلاء الستة الشهيرون ؟

قال سابت :ـ سوف تلتقي بهم سريعا، انهم ستة من الرجال يعتمد عليهم مايكل، وهم يطيعونه طاعة عمياء وعلى استعداد لأن يفعلوا أي شيء من أجله، هم ثلاثة من مواطني روريتانيا، وفرنسي، وبلجيكي، وانجليزي .

وأضاف فريتز :

ـ ان أيا منهم مستعد لقطع رقبة أي شخص بمجرد اشارة من مايكل.

قلت مخمنا : ـ لعل رقبتي هي المرشحة للقطع ؟

قال سابت : ـ ليس هنـاك ما هو أكثـر احتـمالا من ذلك . . من الذين هنا يا فريتز ؟

ـ بيرسونين، ودي جوتيه، وديتشارد.

ـ الأجـانب الثـلاثـة ! هذا يجعل الأمر أكثر وضوحا ان الروريتانيين الثلاثة يحرسون الملك حتى لا يمكنهم أن يقولوا شيئا عن لعبة مايكل، فهم أنفسهم مشتركون فيها.

كان جزءا من خطتي أن أجعل نفسي محبوبا لدى الشعب بقدر ما أستطيع، لذلك أمرت باعداد جوادي وخرجت مع فريتـز إلى نزهة في الحديقة العامة بالمدينة وبعض الشوارع المجاورة، وعندما تجمع حولي جمهور صغير ذهبت إلى منزل الأميرة فلافيا . . وأثار هذا سرور الناس وسمعت صيحات موافقة واستحسان، وكان المستشار قد أبغلني خلال اجتماعي به أن الأمة ستكون سعيدة جدا إذا تقدمت بخطبة الأميرة، ولكنه لم يكن يعرف بالطبع الصعوبات التي تحول دون ذلك، وكانت الأميرة محبوبة جدا لدى الشعب، ولم أجد أي ضرر

في أن أذهب لزيارتها مادام ذلك يساعد في تحسين مركز الملك وأدهشني أن فريتسز كان متحمسا للغاية لهذه الزيارة، ثم اكتشفت ان لديه رغبة قوية في أن يرى الكّونتيسة هيلجا صديقة الأميرة ووصيفتها.

كانت هذه مهمة صعبة في لعبتي، فقد كان علي أن أبدي حبا، لا أشعر به فعلا، كي تظل الأميرة متعلقة بي، ولم يكن يقلل من هذه الصعوبة حقيقة أن الأميرة هي أجمل فتاة رأيتها في حياتي.

قالت الأميرة فلافيا : ـ كم أنا سعيدة وفخورة يا رودلف لرؤية هذا التغير الكبير الذي طرأ عليك . . أنت مثل الأمير في رواية شكسبير الذي أصبح رجلا مختلفا تماما عندما صار ملكا . . بل ان وجهك نفسه قد تغير!

شعرت أنها تطرق موضوعا محفوفا بالمخاطر فقررت تغيير مجرى الحديث. قلت : ـ لقد سمعت أن أخي قد عاد، يبدو أنه قام برحلة ما.

قالت دون أن يبدو عليها الارتياح : ـ نعم، انه هنا.

ـ حسنا، سنكون جميعا مسرورين لرؤيته، فكلما كان قريبا كان ذلك أفضل.

ابتسمت الأميرة :

ـ هل تقصد يا ابن عمي . . ؟

اننـا نستطيع أن نرى ما يفعل على نحو أفضل، ربما، ولكن لماذا أنت سعيدة ؟

ـ لم أقل مطلقا انني سعيدة، ولا يهمني أدنى اهتمام ماذا يفعل الدوق.

إذا كنت أنـا الملك حقـا لشعـرت بالتشجيع من هذه العبـارات، وفي هذه اللحـظة سمعنـا ضجيجـا وهتافا في الشارع، جرت الأميرة إلى الشباك وأطلت منه، وصاحت :

ـ انه هو . . انه الدوق مايكل بنفسه !

ابتسمت ولم أقل شيئا، وسمعت صوت وقع أقدام خارج الغرفة، فأخذت التحدث في موضوعات عامة، واستمر ذلك عدة دقائق، وقد بدأت أتحير لماذا لم يدخل مايكل، ولكن بدا لي أنـه لا يصح أن أتدخل في هذا الأمر، وفجأة لدهشتي الشديدة وجدت فلافيا تقول بصوت خائف :

ـ هل من الحكمة أن تجعله يتميز من الغضب ؟

ـ ماذا ؟ من ؟ كيف أسبب له الغضب ؟

ـ بأن تجعله ينتظر مدة طويلة بالطبع . .

ـ يا ابنة عمي العزيزة لست أريد أن أجعله ينتظر . .

ـ حسنا، فهل تسمح له بالدخول ؟

ـ بالطبع . . إذا كنت ترغبين في ذلك .
نظرت لي بغرابة، وقالت :
ـ يا لك من ظريف اليوم . . أنت تعلم أن لا أحد يمكنه الدخول إلى أي مكان أنت فيه بدون اذنك.

هذه ميزة عظيمة في أن يكون المرء ملكا ! ولكني في داخلي لعنت فريتـز لعدم اخباري بذلك فقد كدت أقع في غلطة خطيرة، قفزت على الفور وذهبت إلى الباب وأدخلت مايكل.
قلت : ـ أخي . . إذا كنت أعلم انـك هنا لما جعلتك تنتظر دقيقة واحدة.

شكرني ببرود واضح ، فقد كان الرجل رغم ميزاته الكثيرة لا يستطيع أن يخفي مشاعره ، ان أي شخص يمكنه أن يرى انه يكرهني بشدة ، وبالذات لوجودي مع الأميرة فلافيا، كان يعلم انني لست الملك ولكنه كان يحاول أن يخفي عني حقيقة انه يعلم ذلك.

قال : ـ ان يدك مجروحة يا سيدي .
أجبت بدون اهتمام :
ـ نعم . . كنت ألعب مع كلب فحاول أن يعضني .
فهم ما أقصـد فأبتسم بمـرارة. ولكن فلافيا سألت في

قلق : ـ وهل هناك خطر من هذه العضة ؟

قلت : ـ لا خطر اطـلاقـا ، أما إذا كنت قد ملكته أن يعضني أعمق من ذلك لكان الأمر مختلفا يا ابنة العم .

واصلت كلامها : ـ ولكن لابد أن يكون الكلب قد تم تدميره ؟

ـ ليس بعد . . اننا. ننتظر لنرى ما إذا كانت عضته خطرة .

سأل مايكل : ـ وإذا اتضح أنها خطرة ؟

ـ عندئذ سوف نضربه على أم رأسه يا أخي !

قلت ذلك ثم سرعان ما تذكرت أنه ينبغي على أن أبدو ودودا نحو أخي ، فأخذت امتدح مايكل لما بذله من جهد في الترتيبات الرائعة التي أعدها لحفل التتويج ، والنظام الذي بذا عليه الجيش، وما إلى ذلك. ولكن مايكل لم يستطع أن يتحمل مزيدا من هذا الكلام ، فهب فجأة واقفا على قدميه ، وقال :

ـ هناك ثلاثة من أصدقائي يحترقون شوقا لأن أقدمهم إليك يا صاحب الجلالة . . انهم موجودون هنا في الغرفة الخارجية .

ـ ان أصدقاءك هم أصدقائي أيضا ، كما أرجو.

قلت ذلك في أدب ، ومشيت معه إلى الباب ، فودع هو الأميرة وتأبطت أنا ذراعه ، كانت تبدو على وجهه ملامح الغم الثقيل فسررت أنا داخليا بذلك ، وعندما دخلنا الغرفة الأخرى نادى مايكل على رجاله وأخذ يقدمهم لي واحدا بعد آخر. وكل منهم يتقدم ويقبل يدي ، دي جوتيه وهو فرنسي نحيف طويل القامة له شارب كث . بيرسونين بلجيكي مائل للبدانة متوسط القامة أصلع الرأس تماما رغم أن سنه صغير، وأخيرا الانجليزي ديتشارد ، له رأس مستطيل وشعر فاتح قصير ووجه لوحته الشمس . كان يبدو عليه أنه مقاتل جيد ولكنه عديم الشرف تماما . تحدثت إليه بالانجليزية بلكنة أجنبية ، خيل لي أنه ابتسم ولكنه أخفى ابتسامته فورا . قلت في نفسي : « اذن مستر ديتشارد يعرف السر » !

وعندما انصرفوا عدت إلى الأميرة لأودعها قبل الانصراف . قالت لي بصوت خفيض :

ـ رودلف ، كن حريصا . .

ـ من ماذا ؟

ـ أنت تعرف ، لا أستطيع أن أقول ، ولكن فكر ماذا تعني حياتك لـ . . .

لمـــن ؟ !

ـ لروريتانيـــا .

همست برقة دون أن أعرف ما إذا كان لي حق في أن أقول ذلك أم لا ؛

ـ لروريتانيا فقط ؟

تغير لون وجهها وقالت :

ـ ولأصدقائــك .

ـ أصدقائــي ؟

همســت : ـ ولأبنة عمك !

لم أستطع أن أتحدث . فقبلت يدها وخرجت من غرفتها وأنـا ألعن نفسي . وجـدت فريتـز جالسـا على الأريكة مع الكونتيسة هيلجاغير ملق بالا لما قد يفكر فيه الخدم ، وعندما رآني هب واقفا وتبعني إلى خارج المنزل .



الفصل السادس

مرت عدة أيام وظل السـر محفوظا، فلم يكتشفني أحد بالـرغم من مرور بعض المـواقف الحرجة التي حدثت فيها أخطاء . وأعتقد أن السبب في عدم افتضاح العملية جسارة الخداع . . فمن السهل أن تنجح في التظاهر بأنك ملك عن أن تتظاهر بأنك الجار الذي يسكن بجوارك !

ذات يوم جاء سابت إلى غرفتي، ورمى بخـطاب على المائدة قائلا « هذا لك . . انه خط سيدة فيما يبدو، ولكن لدي أولا بعض الأنباء . ان الملك موجود في قلعة زندا .

- كيف عرفت ذلك ؟
- لأن نصف أشرار مايكل الستة موجودون هناك، لقد قمت بتحـريات وعلمت أن ثلاثتهم هنـاك : لونجـرام وكرافشتاين وروبرت هنتزو الصغير . . أشرار ثلاثة لا مثيل لهم !

ـ هل من المؤكد أن الملك هناك ؟

ـ نعم . . ان القنطرة مرفوعة، ولا أحد يسمح له بالدخول أو بالخروج الا باذن مايكل أو روبرت الصغير.

قلت : ـ اذن سوف أذهب إلى زندا

ـ لم يحن الوقت بعد أيها الشاب، ينبغي علينا أن نكون حريصين، ان أي هجوم تتعرض له القلعة معناه قتل الملك فورا . . ما الذي في الخطاب ؟

فتحت الخطاب وقرأت ما فيه بصوت مرتفع :

« إذا أراد الملك أن يعرف شيئا في غاية الأهمية بالنسبة له فليأت إلى البيت الذي يقع في نهاية الطريق الجديد في الساعة الثانية عشرة مساء وحده، البيت يقع في حديقة كبيرة وهناك باب صغير في السور الخلفي للحديقة، إذا فتح الباب واتجه إلى اليمين وسار عشرين ياردة سوف يجد منزلا صيفيا صغيرا له ست درجات. في داخل المنزل يوجد شخص سوف يخبر الملك بشيء بالغ الأهمية بالنسبة لحياته وعرشه. هذا الخطاب من صديق مخلص، أما إذا رفض الملك هذه الدعوة فان حياته ستكون في خطر، ولكن عليه أن يأتي وحيدا، وعليه أن لا يطلع أحدا على هذا الخطاب، والا فانه سيدمر امرأة تحبه، ان مايكل الأسود لا يرحم أحدا » .

عندما انتهيت من قراءة الخطاب، قال سابت :

- كلا . . لا تذهب . . انـــه يستـــطيع أن يمـــلي هذا الخطاب على امرأة.

كان ذلك هو نفس ما أفكر فيه، وكدت ألقي الخطاب جانبا، ولكني رأيت عدة سطور مكتوبة على الوجه الآخر للورقة، هذه السطور تقول « إذا ترددت في المجيء فاسأل الكولونيل سابت » . .

صاح سابت في دهشة :

- هل هي تظنني أكثر حماقة منك ؟ » ومضيت أقرأ :

« اسأل الكولونيل سابت من هي المرأة التي يمكن أن تفعل أكثر من أي شخص آخر ما يمنع الدوق من زواج ابنة عمه وبالتالي تحول دون أن يصبح ملكا . ان اسمها يبدأ بحرف « أ ».

قفـــزت واقـفـــا، ووضـــع سابت غليونـــه إلى جانبـــه وصحت : - انطوانيت دي موبان !

سأل سابت مندهشا : - كيف عرفت ذلك ؟

أخبرته عما أعرف عن السيدة. فقال :

- نعم . . هذا صحيح، لقد تشاجرت مع مايكل !

قلـــت : - يمكنها أن تكون مفيدة لنا إذا أرادت.

ـ لازلت أعتقد أن مايكل هو الذي أملى هذا الخطاب .

ـ أنا أيضا أعتقد ذلك، ولكن حتى أقطع الشك باليقين يجب أن أذهب يا سابت.

أجـــاب : ـ لا . . سوف أذهب أنا .

قلـــت : ـ يمكنك أن تأتي حتى باب الحديقة .

ـ بل سأدخل المنزل الصيفي .

وقلت وأنا استند بظهري إلى الوراء :

ـ سابت . . انني أثق في هذه المرأة، وسوف أذهب .

قال سابت : ـ اني لا أثق في أية امرأة . . ولن تذهب .

ـ اما أن أذهب إلى المنزل الصيفي ، أو أعود فورا إلى انجلترا .

كان سابت قد بدأ يعرف إلى أي مدى يمكن أن يثنيني عن شيء أو يحرضني عليه، ثم يخضع لارادتي بعد ذلك ولهذا قد وافق قائلا :

ـ حسنا . . فلنذهب !

في الســاعــة الحــادية عشرة والنصف مســاء امتطيت أنا وسابت جوادينا، وتركنا فريتز للحراسة كانت ليلة مظلمة، وحملت معي كشافا من نوع عين الثور، وسكينا، ومسدسا، وعنـدما وصلنا إلى الباب الخارجي للحديقة، ترجلت من

فوق جوادي استعدادا للدخول، ولزم سابت مكانه قائلا :

ـ سوف انتظر هنا . . وإذا سمعت صوت اطلاق الرصاص سوف . .

قلت : ـ ابق حيث أنت مهما حدث . . هذه هي الفرصة الوحيدة للملك، ولا ينبغي أن تقتل أنت أيضا .

قال سابت : ـ أنت على حق، أيها الشاب، حظ سعيد !

تسللت بهدوء من الباب إلى الحديقة، واتجهت إلى اليمين حسبما جاء في الخطاب، وقطعت الطريق بحذر وقد أغلقت كشافي وأمسكت بمسدسي في يدي الأخرى، وسرعان ما وجدت نفسي أمام كتلة سوداء ضخمة، انه المنزل الصيفي، فارتقيت درجاته بهدوء، ودفعت الباب أمامي فانفتح، ودخلت :

اندفعت نحوي امرأة، وأمسكت بيدي .

وهمست :

ـ أغلق الباب !

أغلقت الباب، وفتحت الكشاف نحوها، كانت هي انطوانيت دي موبان بالفعل، وكانت تبدو جميلة جدا في عتمة الليل وترتدي ملابس رائعة . أما الغرفة فكانت خالية تماما الا من كرسي أو اثنين صغيرين، ومائدة حديدية صغيرة

من النوع الذي يستخدم في المقاهي.

قالت المرأة :- لا تتحدث بشيء - ليس هناك وقت، اسمع! أنا أعرفك يا سيد راسنديل، وقد كتبت لك هذا الخطاب بأوامر الدوق.

قلت : - هذا ما حدسته!

- بعد عشرين دقيقة سيأتي إلى هنا ثلاثة رجال ليقتلوك.

- تقصدين الثلاثة ؟

- نعم . . يجب أن تذهب قبل ذلك، والا فانهم سوف يقتلونك.

وأضافت : - استمع لي جيدا . . عندما يقتلونك سوف يلقون بجثتك في طرف المدينة، حيث يعثر عليها هناك، وسيقوم مايكل على الفور باعتقال جميع أصدقائك وأولهم الكولونيل سابت وفريتز فون تارلنهايم، وسيعلن الأحكام العرفية ويضع المدينة تحت سيطرة الجيش، ويرسل اشارة إلى زندا للثلاثة الآخرين بأن يقتلوا الملك في القلعة، ثم يعلن نفسه ملكا ويتزوج الأميرة.

يا لها من خطة عظيمة . . ولكن لماذا يا سيدتي تتطوعين بإخباري عن ذلك ؟

- اعط أي سبب تريد . . الغيرة إذا شئت، والآن

اذهب ، ولكن تذكر ليلا ونهارا أنك لست آمنا .
.. هل هناك حراس سريون يتعقبونك ؟
قلـــت : ـ نعم .. انها فكرة سابت .
ـ حسنا .. ان رجال مايكل الثلاثة لا يبعدون أكثر من مائتي يآردة من هنا ، والآن أذهب .. ليس عن طريق الباب الخلفي .. ان عليه حراسة الآن، ولكنك ستجد سلما على الحائط على هذا الجانب من المنزل الصيفي ، استخدم السلم واهرب بحياتك .

قلـــت : ـ مدام .. لقد قدمت خدمة ثمينة للملك هذه الليلة رغم أنها تعرضك للخطر .. والآن أرجوك أن تقولي لي أين يوجد الملك ؟
انخفض صوتها إلى ما يشبه الهمس الخافت :
ـ إذا عبرت الـقـنـطرة يوجـد باب ثقـيل خلفـه يرقد .. اسمع .. ما هذا ؟
كان هناك وقع أقدام في الخارج ..
ـ انهم قادمون ! انهم قادمون ! اطفئ كشافك !
فعلت ما أمـرت به ، ثم نظرت خلال فتحـة ضيقة في الباب ، فرأيت ثلاثة أشباح لرجال .. سحبت مسدسي على الفور، ولكن أنطوانيت أمسكت سريعا بذراعي .

وقالــت :يمكنك أن تقتل واحدا منهم . . ولكن ماذا بعد ذلك ؟

تصاعد صوت من الخارج يتحدث بانجليزية سليمة :

ـ يا سيد راسنديل !

لم أجــب . .

ـ اننا نريد أن نتحدث معك . . هل تعد بأن لا تطلق النار حتى ننتهي من الحديث.

ـ هل لي شرف الحديث إلى السيد ديتشارد ؟

ـ الأسماء لا تهم . .

ـ اذن لا تذكر اسمي أيضا .

ـ حسنا ، يا سيدي ، أنني أحمل لك عرضا .

كنت لاأزال أنظر من فتحة الباب . . ثلاثتهم قد صعدوا الآن درجتين أخريين، وكانت مسدساتهم مصوبة إلى الباب . .

ـ هل تدعنا ندخل ؟ نعدك بشرفنا أننا لن نطلق النار . .

همست انطوانيت : ـ لا تثق فيهم .

قلت : يمكننا أن نتحدث من خلال الباب . . .

ـ هل تعد بأن لا تفتح الباب فجأة وتطلق علينا الرصاص ؟

قلــت : ـ أعد بألا أكون البادئ باطلاق النار، ولكني

لن أدعكم تدخلون . . قفوا في الخارج وتحدثوا . . !

قال ديتشارد : هذا يبدو معقولا .

لازلت أنظر من فتحة الباب، رأيتهم الآن على العتبة العليا خارج الباب مباشرة.

قالت انطوانيت مرة أخرى :

ـ لا تثق فيهم !

ولم أكن في حاجة إلى تحذيرها . . كنت أعرف انهم ينوون اقتحام الباب فجأة عندما أبدأ في الكلام .

قلت : ـ حسنا أيها السادة . . ما هو العرض ؟

ـ اذن امان حتى الحدود و 50 ألف جنيه انجليزي !

أجبت : ـ انه يبدو عرضا وجيها . . اعطوني دقيقة لأفكر . .

والتفت إلى انطوانيت، وهمست :

قفي لصيقة بالحائط بعيدا عن خط النار من الباب . .

سألت في خوف :

ـ ماذا تريد أن تفعل ؟

قلت : ـ سترين حالا . .

حملت مائدة الشاي الحديدية، لم تكن ثقيلة بالنسبة لرجل في قوتي، أمسكتها من أرجلها وجعلت من سطحها درعا يحمي رأسي وجسدي، ووضعت كشافي في حزامي،

ووضعت مسدسي في جيبي، ثم ذهبت إلى نهاية الغرفة وأنا ممسك بالمائدة أمامي، وناديت عليهم :

ـ حسنا أيها السادة، انني أقبل عرضكم معتمدا على كلمة شرف منكم، إذا فتحتم الباب سوف . .

قال ديتشارد :ـ افتح أنت الباب . .

قلت : ـ انه يفتح الى الخارج . . ابعدوا قليلا أيها السادة . .

تظاهرت بأنني أحاول فتح الباب، ثم تراجعت إلى مكاني في نهاية الغرفة، وقلت :

ـ انني لن أستطيع فتحه جيدا . . أجذبوه انتم إلى الخارج . .

سمعت ديتشارد يقول : ـ سوف أفتحه أنا . . ماذا يا بيرسونين . . هل أنت خائف من رجل واحد ؟

ابتسمت في نفسي . . وفي لحظة كان الباب قد انفتح بقوة، ورأيت الثلاثة يقفون في مواجهتي ومسدساتهم مصوبة نحوي، فصحت فيهم صيحة عالية، وعلى الفور انطلقت ثلاث رصاصات ولكن المائدة التي استخدمتها كدرع حمتني من الرصاص، وفي اللحظة التالية اندفعت بالمائدة فيهم، وسقطنا نحن الأربعة في كومة واحدة على السلالم، صاحت انطوانيت دي موبان من الذعر، ولكني قمت واقفا وأنا أضحك عاليا.

كان دي جوتيه وبيرسونين يرقدان بلا حراك، أما ديتشارد فكان تحت المائدة، ولكن عندما قمت أزاح هو المائدة من فوقه وأطلق رصاصة أخرى، سحبت مسدسي وأطلقت عليه النار من الخلف، سمعت صوته يرتفع باللعنات، ثم جريت كالريح بعيدا عن المنزل الصيفي إلى جانب السور . .

قلت في نفسي : أرجوك يا الهي أن تكون السيدة قد ذكرت الحقيقة وهي تتحدث عن السلم . . لأن السور كان مرتفعا .

وجدت السلم في المكان الذي أشارت إليه وفي لحظة كنت قد اعتليته وهبطت إلى الجانب الآخر، رأيت الخيول، ثم سابت، كان يحاول جاهدا أن يفتح القفل الذي يغلق الباب الآن، وأخذ يطلق عليه الرصاص كالمجنون ناسيا تماما ما اتفقت عليه من عدم اشتراكه في القتال .

صحت فيه وأنا أضحك : ـ هلم بنا . . !

ـ هلم بنا . . !

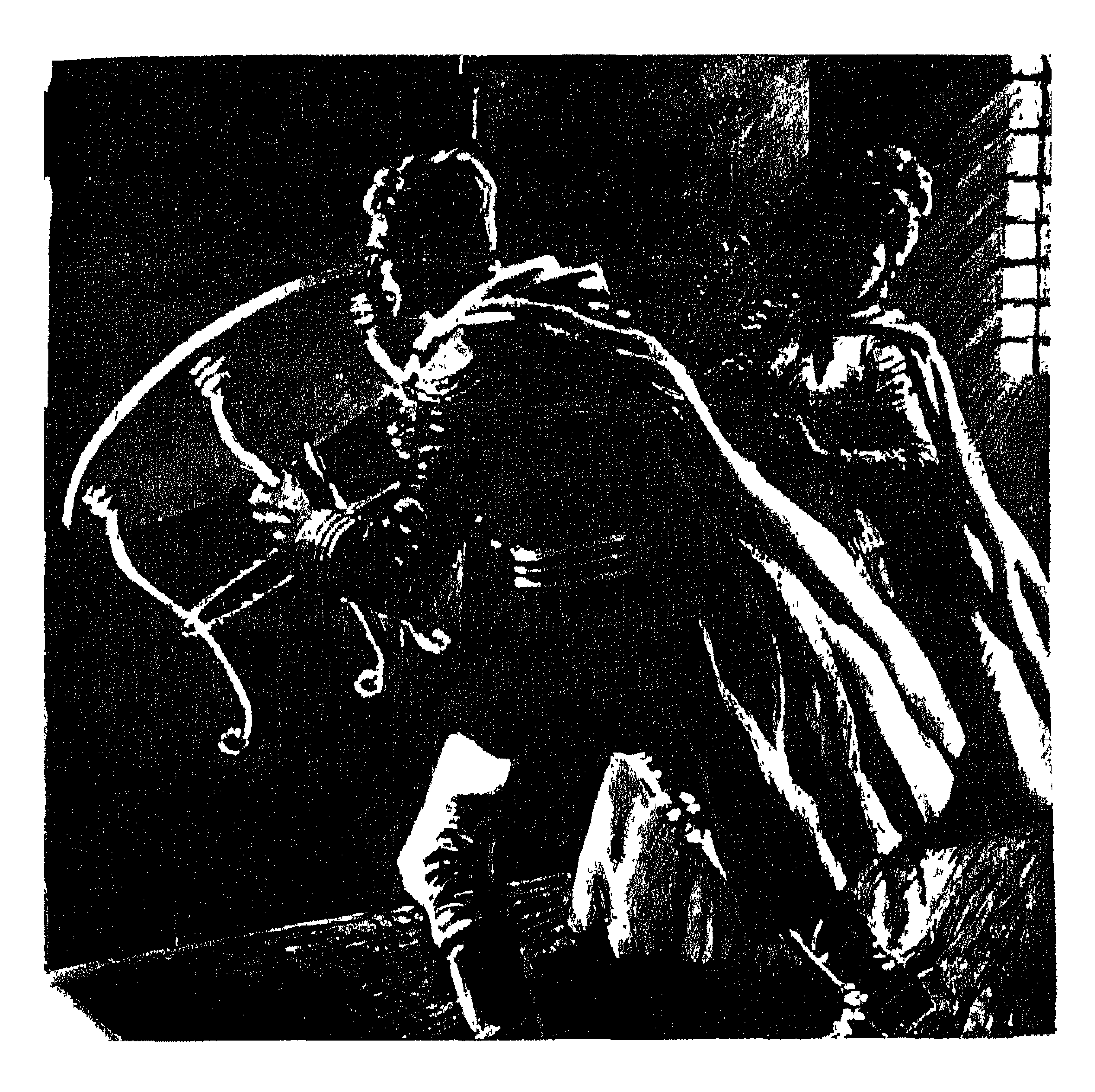
ـ هل أنت بخير؟ ماذا يضحكك ؟

أجبته قائلا :

ـ أربعة من السادة حول مائدة شاي ولكن في وضع معكوس !

لقد كان شيئا في غاية الطرافة ان الأشرار الثلاثة المشاهير الخطيرين قد هزموا بسلاح لا يتعدى مائدة شاي عادية.

وإلى جانب ذلـك، فقد احترمت كلمتي ولم أطلق النار حتى فعلوا هم ذلك.



الفصل السابع

في اليوم التـالي علمت من تقـارير البوليس السري ان مايكل غادر استرلسو ومعه اتباعه الثلاثة، وكان ديتشارد يربط ذراعــه، وسررت لكـوني قد تركت طابعي على ذراع هذا الـزميل، وكذلك غادرت انطوانيت دي موبان العاصمة، والاحتمال الوحيد أنهم ذهبوا إلى زندا . .

وبـدت لي الفقـرة التالية من التقرير السري أكثر أهمية بصفة عاجلة :

« ان الملك يتعرض لنقد كثير لأنه لم يتخذ خطوات نحو الزواج، ومن المعتقد أن الأميرة فلافيا حزينة لذلك أيضا، وهناك أناس كثيرون يذكرون اسمها مع الدوق مايكل » . .

قال سابت في لهجة اعتذار عندما بدا علي الغضب :

ـ لقد طلبت من رئيس البوليس أن يتحدث بصراحة تامة .

وقال فريتز : ـ ان ما ذكر عن الأميرة صحيح تماما، فقد أخبرتني الكونتيسة هيلجا أن فلافيا تحب الملك حبا جما و . . . .

صحت : ـ كفى !

قال سابت : ـ لقد أمرت بإعداد حفلة راقصة كبرى الليلة في القصر الملكي على شرف الأميرة.

قلت وأنا أشعر بعدم الرضا :ـ ليس لدي علم بذلك.

قال فريتز : ـ ان كل الترتيبات قد تمت فعلا.

وتقدم سابت مني وقال في لهجة حازمة :

ـ يجب أن تعرض عليها الزواج وأنت تحادثها هذه الليلة.

ـ يا للسماء !

وأضاف سابت : ـ أعتقد أنك قلت كلاما معسولا لفتيات قبل ذلك . . كل ما هو مطلوب منك مثل هذا . .

قلت وقد استبد بي الغضب :

ـ انني أرفض ذلك رفضا مطلقا . . لن أشارك في أية خطة لخداع الأميرة.

نظر سابت إلي بعينيه الصغيرتين الماكرتين، وقال : ـ حسنا، أيها الشاب، لا ينبغي أن نضغط عليك أكثر من اللازم، ولكن كن رقيقا في حديثك معها، اننا لا نسمح بأن تتضايق الأميرة من الملك . . .

خرجت لأتمشى في الحديقة مع فريتز، كنت أعلم تماما لماذا توقف سابت عن أن يجثي على مطارحة الأميرة بكلمات الغرام، فهو يعرف أن جمالها من جانب، ومشاعري نحوها من جانب آخر، سوف يدفعاني إلى أبعد مما يتوقع، وهو لم يكن يهتم قليلا أو كثيرا بسعادتها الشخصية كل ما يهمه هو انقاذ الوضع، فإذا أنقذ الملك فانها ستكون زوجة له سواء عرفت أو لم تعرف بالتغيير، أماإذا لم ينقذ الملك ـ ونحن لم نبحث مطلقا هذا الاحتمال ـ فان سابت كما أعتقد ينوي أن يبقيني أنا على العرش بدلا من أن يتركه لمايكل الأسود.

كان الحفل الراقص بهيجا للغاية، ولم أستطع أن أظل باردا ولا مباليا إلى جانب هذه الفتاة الجميلة وبالذات عندما تلتقي عيوننا . . وهكذا وجدت نفسي على مرأى من الجميع أنتزع اكليل الورد الأحمر، رمز روريتانيا، من عنقي وأطوق به عنقها. عندما رأى الحاضرون ذلك ابتهجوا وصفقوا، ورأيت سابت يبتسم، وفريتز يبدو متضايقا.

وعندما انتهى الحفل انفردت بالأميرة في غرفة صغيرة مطلة على الحديقة. كانت هي جالسة وأنا أقف أمامها، وكنت أصارع نفسي حتى لا أبوح بهيامي، وربما كنت أستطيع النجاح في ذلك. لو لم تنظر إلي، ولكنها رمقتني بنظرة

مفاجئة، أضاعتني على الفور، نسيت الملك الموجود في زندا، والملك الموجود في استرلسو، ونسيت انها أميرة، وأني نصاب مخادع، نسيت كل ذلك وارتميت على ركبتي أمامها وأخذت يديها بين يدي، ولم أقل شيئا، لم تكن هناك حاجة للحديث.

ولكنها أبعدتني فجأة وصاحت : ـ آه! هل أنت صادق . . أم أن عليك أن تفعل ذلك فحسب ؟

قلت : ـ بل صادق . . الحق أنني أحبك أكثر من الحياة، ومن الحقيقة، ومن الشرف!

لم تأخذ كلماتي بمعناها الحقيقي، ظنتها بعض كلمات الحب الحلوة.

ـ رودلف . . كم أعجب لماذا أحبك الآن كل هذا الحب!

ـ الآن فقط ؟

ـ نعم . . أخيرا جدا . . انني . . انني لم أكن أحبك من قبل.

ملأني شعور بالفخر والانتصار . . اذن هي تحبني أنا، رودلف راسنديل . . ما أحلى هذا الشعور!

ـ تقولين انك لم تكوني تحبينني من قبل ؟

نظرت في وجهي وقالت وهي تبتسم :
ـ جائز أن السبب هو التاج . . لقد شعرت بالحب نحوك في يوم التتويج .
ـ أوه . . فلافيا . . هل يمكن أن تحبينني لو لم أكن ملكا . . .
مهما كنت . . حبي لك لا يتأثر.
بدت لي الفرصة مناسبة لانقاذ شرفي، فقلت في صوت بدا لي جافا وغريبا :
ـ فلافيا . . انني لست . .
في هذه اللحظة سمعت دقة قدم ثقيلة خارج النافذة، وظهر سابت أمامي، فماتت الجملة على شفتي دون أن أكملها . . قال سابت وهو يكشر وينحني :
ـ ألف معذرة يا سيدي . . ولكن الكاردينال ينتظر منذ ربع ساعة يريد أن يودعك .
نظرت إليه فرأيت في عينيه نظرة تحذير وغضب، كم من الوقت كان يتلصص علينا ؟ لست أدري، ولكنه على أية حال قطع المناقشة في الوقت المناسب . .

قلت : ـ لا ينبغي أن أترك الكاردينال ينتظر.
وصاحت فلافيا : ـ أوه . . كولونيل سابت . . كم أنا سعيدة !

كانت نبرة صوتها توحي بالسعادة حقا . .

واعتقـد أن صوت سابت صار أكثر رقة وهو يقبل يدها ويقول « حفظ الله سموك الملكي » ثم هب واقفا وأضاف « ولكن قبل أي شيء . . يأتي الملك » !

ذهبت إلى قاعــة المــرقص مرة أخــرى لأتلقى تحيات المودعين، ورأيت سابت يدخل ويخرج بين الجمع هنا وهناك، وأينـما ذهب كانت تنتشر البسـمات والهمسات فعلمت ماذا يفعل هذا الوغد العجوز، لقد كان ينشر الأنباء التي علمها، كان هدفه الوحيد انقاذ العرش وهزيمة مايكل الأسود لا أقل ولا أكثر . .

وانتشرت الأنباء بسرعة كبيرة حتى انني عندما ذهبت إلى البـوابـة الخارجية لأساعد الأميرة فلافيا على ركوب عربتها وجدت جمعا كبيرا من الناس في انتظارنا وأخذ الناس يحيوننا بالهتـافـات العالية، فماذا أستطيع أن أفعل . . ان أخاديع سابت ومشاعري الفوارة قد أرغمتني على هذا الموقف، ولم يعد أمامي طريق للتراجع أو الهرب.

أخـيرا، جلسنا وحدنا أنا وسابت وفريتز بينما كان ضوء النهار يوشك أن يظهر.

قلت : ـ سابت . . لقد جعلتني بلا شرف . . وقد تجعل مني مجرما إذ استمر الحال على ما هو عليه لذلك، ومن أجل خاطر الله، دعنا نذهب إلى زندا ونسحق مايكل الأسود، ونعود بالملك.

بدأ سابت يتحدث : ـ إذا حاولت أن . .
قاطعته صائحا : ـ إذا أنت رفضت الذهاب إلى زندا . . فسوف أتزوج الأميرة، ولن تستطيع أن تفعل شيئا يمنعني من ذلك، هل تظن أن أي أحد يمكن أن يصدق قصتك لو أنك قلت الحقيقة ؟

قال بهدوء : ـ أعرف ذلك.
ـ اذن، هل نذهب إلى زندا ؟
أمسكني من ذراعي وقال : ـ أقسم بالله . . ان فيك من دماء أسرة الفبرج ما ليس في أحد آخر . . ولكني خادم الملك . . حفظ الله الملك ا هيا . . فلنذهب إلى زندا .

وضعنا الخطط سريعا، وأعطيت أوامري للمارشال ستراكينز كيف يتصرف إذا قتل الملك، وقد ظن المارشال انني أقصد نفسي بالطبع، فشعر بالقلق البالغ لكلماتي، وقال : ـ فليحفظ الله جلالتك . . اعتقد انك ذاهب في مهمة خطرة.

أجبت : ـ آمل ألا يحدث مكروه لأي شخص .
كان من العسـير علي أن أبلغ الأميرة فلافيا بعزمي على تركها ، وكانت قبل أن أذهب لأراها قد سمعت برحلة الصيد التي أنوي القيام بها ، كما كان يشاع في كل مكان .

قالت لي في شيء من البرود : ـ انني آسفة لعدم قدرتنا على تسلية جلالتـك هنـا في اسـترلسو . . ولكن يبدو انك ستكون سعيدا بدون صحبتنا ، لقد سمعت انك ذاهب في رحلة لصيد الخنازير البرية . . أرجو أن تجد في ذلك مايسليك .

رأيت دمعة تنحدر من عينها ، ولعنت نفسي في سري .
قلت لها :
ـ هل تظنين انني أتركك من أجل أن أذهب للصيد ؟
ـ ماذا . . اذن ؟
ـ حسنا . . انها رحلة صيد حقا . . ولكن مايكل هو الخنزير . . !
شحب وجهها ، وقالت : ـ آوه . . رودلف . . ومتى ستعود ؟
أجبت في ألم : ـ أنا لا أعلم متى سأعود .
عد سريعا . . يا رودلف . . أرجوك .

ـ نعم . . أقسم بالله . . سوف أعود مرة أخرى لأراك قبل أن أموت . .

ـ ماذا تقصد ؟

ولكني لم أستطع أن أقول لها الحقيقة . . لقد فات الأوان . واكتفيت بأن أقول :

ـ هل يمكن ألا يعود الرجل لأجمل سيدة في العالم ؟ ان ألف مايكل لا يمكن أن يبعدوني عنك !

شعرت فلافيا بشيء من الراحة ، وسألت :

ـ هل تعدني بألا تسمح لأحد بأن يبعدك عني ؟

ـ طبعا يا حبيبتي . .

ولكن كان هناك شخص واحد فقط هو الذي يمنعني عنها، انه ليس مايكل، وانما الملك السجين في زندا والذي أغامر الآن بحياتي لانقاذه وبالتالي كي يمنعني عن الاقتراب من الأميرة . . !

لم أستطع أن أتحمل الموقف أكثر من ذلك . . فاندفعت خارجا إلى الشارع ، وامتطيت جوادي ، وانطلقت بأقصى سرعة إلى قصري .

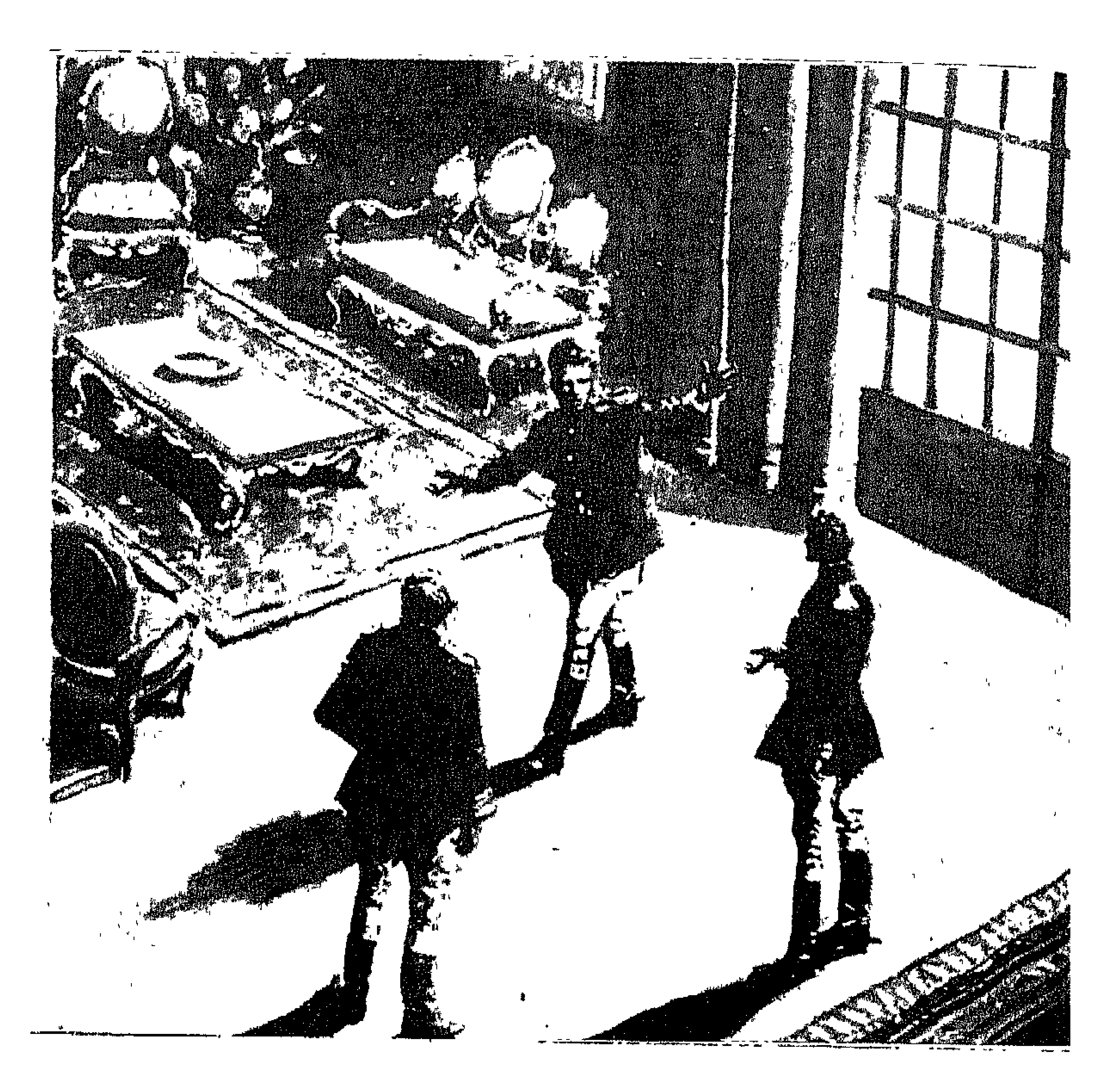
في اليوم التالي كنت في القطار مع سابت وفريتز وعشرة من الرجال اختيروا خصيصا لهذه المهمة . كانوا قد أخبروا بشيء

عن مهاجمة القصر الصيفي وان مايكل يحاول الاستيلاء على العرش، كما أبلغوا أن من أهداف الرحلة انقاذ هذا السجين، واكتفوا بهذه المعلومات فقد كانوا شبانا متعلمين وموالين للملك ويكفيهم جدا أن يعرفوا أن الملك في حاجة إليهم، وهم على استعداد لأن يسفكوا من أجله آخر قطرة من دمائهم.

كانت وجهتنا قلعة تارلنهايم التي تخص عم فريتز، وهي بناء حديث يبعد حوالي خمسة أميال عن زندا على الجانب المقابل لقلعة مايكل، والقلعة فوق تل تحيط به الغابات من كل جانب، وفي هذه الغابات تعيش الخنازير البرية. وبالطبع فقد كان الهدف من اختيارها أن نجعلها قاعدة قريبة لشن الهجوم على مايكل.

أما مايكل فقد كان بالطبع غير مخدوع بقصة الصيد هذه، كان يعرف تماما لماذا جئنا ومن الطبيعي أنه اتخذ الخطوات التي يراها كافية لمنعنا من تحقيق ما نريد، ولم تكن هذه هي العقبة الوحيدة، وانما العقبة الأكبر ان كل تحركاتنا لابد أن تكون معروفة ومعلنة، وهذه احدى المشاق الكبرى التي تنطوي عليها حياة الملوك.

كان هدفنا اخراج الملك من قلعةزنداحيا ، وكنا تعلم أن القـوة عديمـة القيمة وأن فرصتنا الوحيدة أن نحقق هدفنا بخـديعة ما ، واعتقدنا ونحن على صواب ، بأن مايكل لن يقدم على قتل الملك قبل أن يقتلني أنا أولا ، ومن المحتمل أيضا أنه كان يظن انني لا أقوم بهذه المهمة كمسألة شرف وانما



من أجل مصلحتي الخاصة، فهو لا يستطيع أن يتصور أن يفعل رجل مثلي كل ما يستطيع من أجل أن يضع رجلا آخر في مكـانه، وكان يتصور أن هدفي من المجيء إلى زندا أن أتسبب في قتـل الملك، وبـذلـك أحتفظ بالعـرش والأميرة لنفسي. وقـد وجدت بعض التشجيع في ذلك لأن مايكل سوف يبقى على حياة الملك إلى أقصى ما يستطيع . . ويعلم الله أنني كنت في حاجة شديدة إلى كل تشجيع ممكن.

وهكذا، انتهت الرحلة، ووجدت نفسي مرة أخرى في زندا.

الفصل الثامن

من المؤكد أن مايكل عرف نبأ اعتزامي الحضور إلى زندا في وقت مبكـر جدا، إذ لم تكـد تنقضي ساعـة واحدة على وجودي في قلعة تارلنهايم حتى أرسل مايكل أعوانه الثلاثة للترحيب بي، ولقـد كان مهـذبا بما فيه الكفاية فلم يبعث بالرجال الذين حاولوا أن يقتلوني من قبل وانما أرسل الثلاثة الآخـرين الـذين هم من مواطني روريتـانيا : لـونجـرام وكـرافشتاين وروبرت هنتزو، وهم ثلاثة رجال لا تنقصهم الوسامة ويبدو ان المقدم عليهم كان روبرت هنتزو . . وهو شاب صغير لا يتجاوز الثالثة والعشرين، وقد تقدم نحوي وألقى خطبة مؤدبة قصيرة قال فيها ان أخي العزيز مايكل لم يستطع الحضور بنفسه للترحيب بي، لأنه مريض.

أجبته قائلا : ـ انني آسف لسماع ذلك، يا سيدي، وآمل أن لا يكون هناك أحد آخر من جماعته مريضا أيضا، فقد أبلغت بأن السيد ديتشارد مصاب، هل هو أحسن حالا ؟

ضحك روبرت، ولكن زميليه لم يبتسما، وقال :

ـ انه يأمل أن يجد لمرضه شفاء عاجلا يا سيدي .

وضحكت أنا بدوري، فأنا أعرف الشفاء الذي يقصده . . انه الانتقام . .

استأذن الثلاثة في الانصراف، وأعطونا ظهورهم راحلين، ولكن روبرت طوح بشعره الناعم الأسود إلى الوراء وارتسمت على وجهه ابتسامة ازدراء وهو يمر أمام سابت، فاكفهر وجه سابت العجوز وصار مظلما كالليل، ولم يتردد في أن يلمس مسدسه كأنه يفعل ذلك على سبيل الصدفة .

بدلا من تناول العشاء في قلعة تارلنهايم اصطحبت فريتز إلى الفندق الصغير الذي نزلت فيه عند وصولي إلى زندا في أول مرة، لم تكن هناك مخاطر كثيرة تحول دون ذلك، فقد كنا لانزال في بداية المساء والطريق إلى المدينة ليس مهجورا من المشاة، كما غطيت كل وجهي لأمنع أي نظرات مستريبة من معرفة من أنا .

قلت ونحن نقود جوادينا على الطريق : ـ فريتز . . أطلب حجز غرفة خاصة لاثنين من خاصة الملك، أحدهما يعاني ألما شديدا في ضروسه جعله يلف رأسه، وهناك فتاة جميلة في الفندق . . أعمل حسابك أن تأتي إلى خدمتنا أثناء العشاء .

ـ كيــف ؟

ـ هذا ما أتركه لك ، وعلى أية حال انها سوف تأتي ان لم يكن من أجلك أنت، فلأجلي أنا .

دخلنـا الفنـدق، ولم يكن يبـدو من وجهي شيء سوى عيني ، حجز فريتز الغرفة ، وذهب ليبحث عن الفتاة ، وعاد بعد دقيقة . .

قال : ـ انها قادمة !

دخلت الفتـاة إلى الغـرفة ، وأعطيتها وقتا كافيا لاعداد مائدة النبيذ ، ووضعت أمامنا زجاجة . .

وملأ فريتز كوبا لي ، بينما قالت الفتاة في لهجة مواسية :

ـ هل السيد يعاني ألما موجعا ؟

قلت وأنا أكشف القناع عن وجهي :

ـ ان السيد ليس أسوأ الآن عما رأيته آخر مرة .

ندت صرخة صغيرة من الفتاة ، وصاحت :

ـ لقد كنت الملك اذن ا لقد قلت لأمي ذلك عندما رأيت صورتك في الصحف . . أرجو منك الصفح يا سيدي .

قلـت : لماذا ؟ أنك لم تسببي لي أي أذى .

ـ ولكن هذه الأشياء التي قيلت !

ـ انني أصفح عنها . . إذا كانت لديك الرغبة في تقديم خدمة للملك .

ـ أوه . . شكرا يا سيدي ، سأذهب لأخبر أمي .
صحت فيها، وأنا اتخذ مظهرا جادا :
ـ قفي . . انـنـا لم نجيْ هنـا الليلة للتسلية اذهبي لتحضري العشاء، ولا تفتحي فمك بكلمة عن وجود الملك هنا . . لأي أحد.
وعادت الفتاة بعد دقائق، وعلى وجهها دلائل الاهتمام البالغ .
سألتها وأنا أبدأ في تناول عشائي :
ـ كيف حال جوهان . . ؟
ـ أوه . . هل تقصد ذاك الشخص يا سيدي . . أقصد يا صاحب الجلالة .
ـ سيدي تكفي جيدا، أرجوك، كيف حاله ؟
قالت : ـ نحن لا نراه كثيرا الآن يا سيدي !
ـ لماذا ؟
القت برأسها إلى الخلف، وقالت :
ـ لقد قلت له انك تأتي كثيرا إلى هنا . . يبدو أن ذلك قد أغضبه يا سيدي .
ـ ولكن في امكانك أن تجعليه يأتي إذا أردت أليس كذلك ؟
ـ ربما أستطيع ذلك يا سيدي ، ولكنه كما أعلم مشغول

جدا في القلعة الآن .

ـ ولكن ليس هناك صيد ولا قنص في الغابة الآن ؟

ـ نعم يا سيدي . . انه مكلف بالخدمة في المنزل .

ضحكت قائلا : ـ جوهان تحول إلى مدبرة منزل ؟

ـ ليس لديهم سيدة هناك يا سيدي ـ خادمة أقصد . . فقد سمعت أن هناك سيدة . . ربما كان ذلك غير صحيح .

ـ ولكن جوهان سيجد وقتا لمقابلتك إذا طلبت منه ذلك .

ـ هذا يتوقف على الزمان والمكان يا سيدي .

ألا تحبينه ؟

ـ ليس من أجلي يا سيدي . . انني أريد أن أكون في خدمتك يا سيدي .

ـ حسنا . . ابلغيه أن يقابلك عند علامة الميل الثاني خارج زندا في الساعة العاشرة من مساء الغد .

سألت في قلق : ـ أنت لا تريد شرا يا سيدي ؟

ـ لن أؤذيه مادام يفعل ما آمره به . . والآن، انصرفي، وتأكدي أن أحدا لا يعلم بوجود الملك هنا .

قلت هذا بلهجة قاسية، ولكني أعطيتها أيضا بعض النقود . .

انتهينا من تناول طعام العشاء وركبنا جوادينا عائدين إلى قلعة تارلنهايم، وعندما أصبحنا خارج المدينة قال فريتز لي :

ـ هل تريد امساك هذا الشخص جوهان ؟

ـ نعم . . اعتقد أن الفخ سينجح في الامساك به . .

وعندما وصلنا إلى الطريق المؤدي إلى قلعة تارلنهايم وجدنا سابت قادما بسرعة نحونا، وقال :

ـ حمدا لله على سلامتك . . هل رأيت أحدا منهم ؟

سألت وأنا أترجل :

ـ ممن ؟

قال سابت بجدية :

ـ اسمع أيها الشاب . . لا ينبغي أن تخرج من هنا وحدك الا إذا كان معك نصف دستة من الرجال على الأقل، هل فهمت ؟ . . هل تذكر أحد حراسك المدعو برننشتاين ؟

كنت أذكره جيدا . . كان شابا شبها في مثل طولي تقريبا .

ومضى سابت قائلا : ـ انه يرقد الآن في غرفته بالقلعة مصابا برصاصة في ذراعه .

ماذا ؟

واستمر سابت :

ـ بعد العشاء خرج برننشتاين يتمشى ميلا أو نحو ذلك

في الغـابة، فخيل إليه انه يرى ثلاثة رجال بين الأشجار، وأحـدهم يصـوب بنـدقية نحوه، لم يكن معه سلاح فأخذ يجري عائدا إلى المنزل ولكن الرجل أطلق النار وأصابه في ذراعه.

ان برننشتاين يعد محظوظا لأنه استطاع الوصول قبل أن يسقط مغشيا عليه، وخافوا هم من الاقتراب من البيت.

وتـوقف قليلا وأضـاف : ـ أيهـا الشاب .. كنت أنت المقصود بهذه الرصاصة.

أجبت قائلا :

ـ هذا محتمل جدا .. سابت، قبل أن أغادر روريتانيا يجب أن أفعل شيئا أقضي به الجمائل التي طوقتم عنقي بها هنا.

ـ ما هو؟

ـ أن أقتل هؤلاء الستة جميعا .. ان البلاد ستصبح أكثر نظافة بذلك . . .

* * *

في صباح اليوم التالي كنت أجلس في الحديقة أمام المنزل شاعرا بالرضا أكثر من أي وقت من قبل. فهأنذا على الأقل أفعـل شيئـا، أعمـل، وبـرغم أن ذلك ليس علاجا كافيا

للحب الـذي أشعـر به نحو الأميرة فلافيا الا انه نوع من المخدر على الأقل، وفجأة خرج من وسط الأشجار روبرت هنتزو الصغير، كان راكبا جوادهكأنه يتنزه في حديقة عامة غير ملق بالا لأي خطر قد يتعرض له من جانب رجالي، وطلب أن يحدثني على انفـراد لينقـل لي رسـالة من دوق استرلسو فطلبت من أصدقائي الابتعاد قليلا.

بدأ روبرت قائلا :

ـ راسنديل . . ان الدوق . .

قمت واقفا على الفور وقلت :

ـ هل أنادي أحد رجالي ليحضر لك جوادك يا سيدي ؟

ـ لماذا تستمر في التظاهر بغير الحقيقة ؟

ـ لأن الأمـر لم ينتـه بعد . . ثم أن من حقي أن اختار اسمي الخاص.

ـ حسنا يا سيدي، ولكني أتحدث هكذا لحبي لك، انني معجب بك كما تعلم، انك مثلي تماما !

أجبته قائلا : ـ شكرا لك . . ربما أكون مثلك حقا فيما عدا أنني رجل شريف، أثق في الرجال، وأحترم النساء !

نظر إلي بغضب، ولم يتكلم، فسألته :

ـ ما هي الرسالة ؟

ـ ان الدوق يقدم لك أكثر مما كنت أقدمه أنا لو كنت في مكانه، انه يعرض عليك توصيلك بأمان حتى الحدود ومائة ألف جنيه .

ـ انني أرفض بالطبع !

فابتسم قائلا :

ـ هذا ما قلته لمايكل . . الحقيقة ـ والكلام بيني وبينك ـ ان مايكل لا يفهمك .

ضحكت وسألته :

ـ وأنت . . هل تفهمني ؟

أجاب : ـ نعم . . انك تفضل الموت . . وسوف تحصل عليه !

قلت في أدب :

ـ يؤسفني أنك لن تعيش لترى ذلك. والآن كيف حال أسيرك ؟

ـ الملـــ . .

ـ قلت أسيرك . .

ـ أوه . . عفوا يا سيدي . . لقد نسيت رغبتك . . انه حي . .

قمت واقفا، وقام هو أيضا . .

وقال ساخرا :

ـ وكيف حال الأميرة الجميلة . . كيف حال الحب ؟
صحت فيه غاضبا : ـ اذهب . . قبل أن أسلخ جلدك !

بعد ذلك حدث أجرأ شيء شاهدته في حياتي، كان أصدقائي على مسافة ثلاثين ياردة فقط مني ونادى روبرت على الخادم أن يحضر له جواده، وبينما كان يمتطيه التفت نحوي مادا يده اليمنى وقال :ـ فلنتصافح . . !
انحنيت له، ورفضت أن أصافحه، ووضعت يدي خلف ظهري، وفي لمح البصر رأيت يده اليسرى ترتفع فوق رأسي ويلمع فيها نصل خنجر في الهواء، وطعنني في كتفي الأيسر، وإذا لم أكن قد قمت بحركة مفاجئة لكان الخنجر قد أصاب قلبي بالتأكيد . .

صحت وخطوت إلى الخلف وارتميت على المقعد والدماء تنزف من كتفي بغزارة، وقفز روبرت على حصانه وانطلق بسرعة السهم تشيعه الصيحات وطلقات الرصاص التي أطلقها نحوه رجالي، ولكن لم تصبه أية رصاصة، وأغمى علي.

عندما أفقت كان الوقت ليلا ووجدت فريتز إلى جانبي، كنت أشعر بضعف عام ولكني كنت مبتهجا، وازددت ابتهاجا عندما أخبرني فريتز بأن الجرح ليس خطيرا وسوف

يشفى حالا، ثم أخبرني أن جوهان وقع في المصيدة، وأنهم أمسكوا به وهو موجود الآن في المنزل . .

وقال فريتز : ـ الشيء الغريب أن جوهان ليس آسفا لكونه هنا. انه يعتقد ان مايكل الأسود عندما ينفذ خطته سوف يحاول التخلص من جميع مساعديه فيما عدا الستة.

دلني ذلك على أن سجيننا ليس أحمق على أية حال، وفكرت أن مساعدته ستكون قيمة لنا جدا إذا استطعنا الحصول عليها، فأمرت باحضاره إلي في الحال، وأتى به سابت . .

كان يبدو عليه الخوف وغير راغب في الكلام، وبعد محادثة طويلة ظهر لي فيها أنه رجل ضعيف أكثر منه رجلا سيئا، فقد وافق أخيرا على أن يخبرنا بما نريد أن نعرف، وبالطبع فقد أعطيناه وعودا كريمة.

وقد نفذنا هذه الوعود بالفعل وهو الآن يعيش في راحة وان كنت لا أستطيع أن أصرح بمكان اقامته.

كما بدا أنه تصرف على النحو الذي تصرف به، خوفا من الدوق وأخيه ماكس وليس رغبة في الاضرار بالملك، وكان سيده على أية حال يثق فيه ولذلك كان يعلم الكثير عن خططهم.

قال لنـا ان الملك سجـين في غرفـة صغـيرة في القلعـة القديمة، وإلى جانب هذه الغرفة توجد غرفة أخرى يقيم بها ثلاثة من الستة بدون انقطاع، وفي حالة الهجوم على هذه الغرفة التي تؤدي إلى غرفة الملك الداخلية، سيقوم اثنان من الثلاثة بالمقاومة، بينما يقوم الثالث وهو روبرت أو ديتشارد ـ لأن واحدا منهما دائما هناك ـ بالاسراع إلى غرفة الملك وقتله في الحال، والملك بالطبع غير مسلح ويداه مقيدتان بسلسلة خفيفـة لمنعـه من الحـركـة بقدر المستطاع، وهكذا قبل أن يتمكن المهاجمون من أخذ الغرفة الخارجية سيكون الملك قد مات.

سألته : ـ ولكن أين يخفون جثته ؟

كنت أعرف أن أكثر ما يهم مايكل الأسود أن لا يرى أحد جثة الملك.

أجـاب جوهـان : ـ لقـد عمـل الـدوق حسـاب ذلك . . فقد ثبت في نافذة الملك فوهة أنبوبة كبيرة وهي من الاتساع بحيث يمكن أن تمر فيها جثة رجل، وهذه الأنبوبة متصلة بالخنـدق المـائي الذي حول الحصن، فعندما يقتل الملك تلقى جثته في الأنبوبة بعد أن تثبت فيها أثقال فتغوص إلى الأعـماق، وعنـدئـذ سوف يهرب الحـراس أيضـا، إذا

استطاعوا، بالهبوط داخل الأنبوبة إلى الماء، وهم سوف يطفون مرة أخرى ويعومون إلى الشاطئ، أما الملك فيبقى تحت الماء إلى الأبد.

وبالطبع فان جوهان لم يقص هذه القصة بهذا الاختصار، وهذا الوضوح، ولكننا حصلنا عليها بعد مزيد من الأسئلة.

سألته : ـ لنفرض أن الهجوم لم يتم بعدد قليل من الرجال وانما بجيش كبير لا تمكن مقاومته.

أجاب جوهان : ـ لن تكون هناك مقاومة . . سوف يغتال الملك على الفور، وتلقى بجثته في الأنبوبة، ويأخذ أحد الستة مكانه كأسير في السجن. ويزعم أن مايكل وضعه هناك، وسوف يعترف مايكل بهذه الحقيقة، ويقول ان هذا الشخص قد أغاظه، ولكنه على استعداد للصفح عنه واطلاق سراحه إذا قدم اعتذارا كافيا.

أخذنا أنا وسابت وفريتز نتبادل النظرات فيما بيننا ونحن مصدومون ومندهشون لهذه الخطة الجهنمية القاسية، فسواء هاجمنا القلعة علنا بجيش كامل أو سرا بعدد قليل من الرجال سوف يقتل الملك على أي حال قبل أن نتمكن من الوصول إليه.

سألت : ـ هل الملك يعرف بذلك ؟

ـ نعم، يا سيدي، فعندما كنت أنا وأخي ماكس نقوم بتركيب الأنبوبة، تنفيذا لأوامر الدوق، سأل الملك روبرت هتزو : « ما هذا ؟ » فأجابه روبرت : ان هذا عبارة عن نوع من « سلم يعقوب » (1) إذ ليس من المناسب للملك أن يذهب إلى السماء بالطريق العادي كما قال : آه يا سيدي ليس من السهل أن ينام الانسان هادئا في قلعة زندا لأن كل واحد هناك على استعداد لأن يقطع رقبة أي شخص بنفس السهولة التي يلعب بها الورق !

قلت : ـ حسنا يا جوهان، إذا سألك أي أحد هل يوجد سجين في قلعة زندا قل « نعم » ولكن إذا سئلت من هو فلا تجب، سوف أقتلك مثل الكلب إذا قلت شيئا عن حقيقة السجين هناك . .

وعندما انصرف جوهان، نظرت إلى سابت . .
وقلت له : ـ يبدو أنه ليس هناك سوى طريقين فقط لانقاذ الملك : أما أن تقع خيانة بين رجال مايكل، أو أن تقع معجزة من السماء !

---

1) في الأساطير الغربية أن يعقوب حلم بسلم يصل من الأرض إلى السماء

الفصل التاسع

أعلن رسميا في روريتانيا انني أصبت بجراح أثناء ممارستي هواية صيد الخنازير البرية، وقد طلبت أن يوحي الاعلان بأن اصابتي خطيرة. وكان هدفي من ذلك أن أجعل مايكل يعتقد أنني في حالة سيئة بحيث لا يمكنني اتخاذ اجراء ضده، وقد علمت من جوهان ـ الذي كان يتردد علينا خلسة ـ ان مايكل يعتقد فعلا بذلك . .

ولكن ترتبت على الاعلان نتيجتان اضافيتان : الأولى أنني أغضبت كبار الأطباء في استرلسو لأنني رفضت أن أدع أيا منهم يعالجني وأوكلت مهمة العلاج إلى طبيب شاب من أصدقاء فريتز، والثانية أنني تلقيت رسالة من المارشال ستراكنز بأنه لم يعد في استطاعته ابقاء الأميرة فلافيا في استرلسو، وانها قررت أن تلحق بي فورا في زندا.

وصلت فلافيا إلى زندا، وكانت سعادتها بالغة برؤيتي صحيحا معافى ولست راقدا أصارع الموت كما تصورت من قبل . .

وانني حتى الآن ترتسم في عيني صورتهــا وهي سعيدة وتظل هذه الصورة تتراقص أمام عيني إلى أن يملأها الدمع فتمحي الصورة. والحقيقة أن وجودها إلى جانبي مرة أخرى كان يشبـه نعمـة من السـماء هبطت على مجرم محكوم عليه بالاعدام، وقد امتلأت فرحا وحبورا لقضاء يومين كاملين في صحبتها بدون أي متاعب أو مشاغل.

ثم قررت أنا وسابت أن الوقت قد حان للمغامرة بتوجيه ضربـة إلى مايكل، فقد سمعنا من جوهان ان الملك يزداد نحافة ومرضا في سجنه وأي انسان بالطبع، سواء كان ملكا أو لم يكن، يمكن أن يمـوت بالاهمال في السجن تماما كما يموت برصاصة أو سكين.

وهكذا أصبحت فكرة القيام بعمل سريع ضرورة بالغة لصالح الملك كما كانت ضرورية بالنسبة لي أنا أيضا، فقد كان المارشال ستراكنز لا يتوقف عن حثي على اتخاذ ترتيبات الزواج من الأميرة، ويمكنك أن تتصور مدى حساسية ذلك لأن بقـاء الأمـيرة إلى جانبي كان يزيدني حبا لها، وكذلك كانت هي تزداد تعلقا بي، وأنا بالطبع لا أستحقها.

لقد أخبرني سابت بعد ذلك بفترة طويلة أن سلوكي في هذه المرحلة كان يشبه سلوك الدكتاتور، فما كنت أسمح بأي

تدخل في شؤوني أو أستمع لأي نصيحة بتأجيل العملية، والواقع انني كنت أشعر آنذاك بأن حياتي لا قيمة لها وكنت أحملها باهمال كما يحمل الرجل عصا قديمة!

وفي الليلة التالية لاتخاذ القرار خرجنا أنا وسابت وفريتز وستة رجال على خيول سرا قاصدين قلعة زندا، كان سابت يحمل حبلا قويا وأنا أحمل سكينا وعصا ثقيلة، فدرنا حول المدينة وتقدمنا بحذر حتى أصبحنا على مسافة ربع ميل من القلعة القديمة. كانت ليلة عاصفة حالكة السواد، ولذا كانت مناسبة تماما للخطة التي في ذهني.

اختبأ الرجال الستة مع الخيول خلف بعض الأشجار، وكانت مع سابت صفارة ليستخدمها عند الحاجة إذا أراد استدعاءهم، لم نقابل أي انسان في طريقنا فقد كان مايكل يعتقد بلاشك أنني مازلت مريضا ملازما الفراش.

وصلنا نحن الثلاثة إلى حافة الخندق المائي، ربط سابت طرف الحبل في شجرة، وخلعت أنا حذائي ووضعت العصا بين أسناني والسكين في حزامي . . وبعد أن همست قائلا: «إلى اللقاء» نزلت إلى الماء، كان هدفي القاء نظرة على سلم يعقوب.

أخـذت أسبـح ببطء وحذر بجوار أسوار القلعة العالية الظلماء، كانت هناك أنوار في الجزء الجديد من القلعة على النـاحية الأخـرى من الخنـدق المائي . وسمعت ضحكات وصيحـات سعيدة تتصاعد من هناك، لا شك أن روبرت هنتزو يلهو الآن مع أصدقائه حول مائدة النبيذ .

ظهر أمامي شبح أسود، كانت هذه هي الأنبوبة، وعندما كنت أقترب منها شاهدت شيئا آخر جعل قلبي يكاد يتوقف عن الخفقان، انه مقدمة قارب تبدو بارزة من الجانب الآخر للأنبوبة. ترى من يكون هذا الذي يحرس اختراع مايكل العجيب ؟ هل هو مستيقظ أم نائم ؟ اقتربت أكثر من جدار القلعة فأحسست بحافة ضيقة من الصخر تحت الماء، كانت جزءا من أسـاس القلعة المغمور بالمياه، وأصبح في امكاني الآن أن أقف فوقهـا بحيث يعلو رأسي وكتفي فوق سطح المـاء، فأخذت أزحف بحذر فوق الحافة حتى وصلت إلى الأنبوبة، ثم نظرت حول الأنبوبة فوجدت أن هناك مسافة بينها وبين الجدار.

كان هناك رجل في القارب، وإلى جانبه بندقية، لم يكن يبـدي حراكـا، وكان يتـنـفس بعـمق و انتـظام، انـه نائم . . واصلت زحفي بين الأنبوبة والجدار حتى أصبحت

على مسافة قدمين من وجه الرجل، عرفته على الفور انه ماكس هوف الضخم الجثة شقيق جوهان، سحبت السكين من حزامي في هدوء واقتربت من الرجل مستعدا لتوجيه طعنة نجلاء.

ان هذا العمل الذي قمت به في تلك الليلة هو أسوأ عمل في حياتي كلها، ولكني قلت في نفسي: «انها حرب وحياة الملك في خطر» ورفعت السكين في الهواء وأغمدتها في قلب ماكس هوف، فتح الرجل عينيه في ذعر ولكن لحسن الحظ لم يكن لديه وقت للصراخ، وسقط قتيلا داخل القارب.

تركته حيث هو، والتفت إلى سلم يعقوب، لم يكن أمامي متسع من الوقت، فمن المحتمل أن يصل في أية لحظة حارس آخر ليحل محل ماكس..

فحصت الأنبوبة من كل جانب فلم أجد بها أي شرخ، ولكني وجدت ضوءا ضئيلا ينبعث من نافذة في جدار القلعة بأعلى طرف الأنبوبة وسمعت أصواتا تنبعث من النافذة، كان ديتشارد يتحدث إلى الملك.

سمعت ديتشارد يقول:
ـ سيدي.. هل تطلب شيئا قبل أن أتركك الليلة؟

جاء صوت الملك، ضعيفـا خافتـا، لا يشبه مطلقا رنة الفرح العالية التي كانت تميز صوته عندما سمعته لأول مرة في الغابة وكوخ الصيد.

قال الملك :

ـ قل لأخي أن يقتلني . . إنني أموت هنا موتا بطيئا.

قال ديتشارد ساخرا :

ـ ان الـدوق لا يريد موتك بعد يا سيدي وعندما يريد سيكون هذا هو طريقك إلى السماء.

ثم اختفى الضـوء من النافذة، وسمعت صوت اغلاق رتاج الباب.

فكرت أن أنادي على الملك، ولكني امتنعت فورا، فهذه مخاطرة قد تكون لها عواقب سيئة، إذ قد يصيح الملك من فرط المفاجأة والدهشة. وعندئذ يسمعون صياحه ويأتون. لذلك قفزت إلى القارب وأخذت أجدف إلى الشاطئ الآخر كانت العاصفة تعوي عالية مما جعلني أجدف بقوة غير خائف من أن يسمعني أحد.

وصلت إلى الشجرة التي بها الحبل، وهنا سمعت صوت صفارة فوق الخندق من ورائي، وصاح أحدهم :

ـ هالو! ماكس!

قلت : أسرع يا سابت !

وربطت الحبل حول جثة ماكس، وصعدت من القارب، وجذبنا الجثة، وقلت :

ـ أطلق صفارتك لرجالنا . . لا كلام الآن ! أطلق سابت صفارته، ولكن في اللحظة التالية اندفع نحونا ثلاثة رجال يركبون الخيول قادمين من طريق القلعة، رأيناهم جيدا، ولكنهم لم يرونا لأننا كنا نقف على الأرض. وفي نفس الوقت سمعنا صياح رجالنا وهم يندفعون من الاتجاه المضاد.

سمعت أحدهم يقول : «إنها ليلة سوداء كالشيطان» . . وعرفت فيه صوت روبرت الشاب، وفي اللحظة التالية انطلق صوت الرصاص، لقد قابلهم رجالنا، واندفعنا نحن إلى الأمام للمشاركة في القتال. دلتنا صيحات الألم على أن شخصا على الأقل قد أصيب، وفجأة اندفع حصان نحونا، نظرت إلى راكبه، كان روبرت هنتزو، صحت : أخيرا . . أمسكناه !

كان يبدو اننا على وشك الامساك به، فقد كان وحيدا بيننا، وليس معه سوى سيفه في يده، وكان رجالي من ورائه وسابت وفريتز وأنا بالقرب منه.

صحت مرة أخرى ,

ـ أخيرا . . أمسكناه

صاح روبرت : ـ انه ممثل المسرحية !

وضرب عصاي بسيفه فقطعها نصفين، تصورت انه سينال مني بعد ذلك، فقفزت بعيدا عن ضرباته، وكأن الشيطان كان يتقمصه، فقد حث جواده إلى الأمام وقفز به في الخندق المائي، وتساقطت حوله رصاصات رجالي، لو كان هناك شعاع واحد من ضوء القمر لأصبناه، ولكن الليل كان حالكا كالحبر، فلم تصبه رصاصة واحدة، وسبح هو بجواده في عتمة الليل حتى وصل إلى زاوية جدار القلعة، وفر هاربا.

سألت : ـ ماذا حدث ؟

ـ قال أحد رجالي :

ـ لقد قتل لونجرام وكرافشتاين يا سيدي.

قلت : ـ وماكس أيضا قد قتل . . لقد قتلنا ثلاثة منهم.

لم يكن من الممكن اخفاء ما حدث، فألقينا بالجثث الثلاث في الخندق، ثم اكتشفنا أن ثلاثة أيضا من رجالنا قد قتلوا، فحملنا جثثهم معنا، وعدنا ونحن حزانى مثقلي القلوب بسبب موت أصدقائنا، وخوفا على مصير الملك. كما كنت أنا متضايقا بوجه خاص بسبب الانتصار الثاني الذي حققه روبرت الصغير علي.

وكنت أيضـا أشعـر بالخجل لأنني لم أقتل أحدا في قتال مكشوف، ولم أكن في نفس الوقت مسرورا بتسمية روبرت لي « ممثل المسرحية»

* * *

كان من المستحيل التكتم على نبإ مقتل هذا العدد الكبير من الرجال، فأصدرت أوامر مشددة بتحريم أي مبارزة في المستقبل للايحاء بأن مقتل هؤلاء الرجال كان نتيجة مبارزات عادية، كما أرسلت اعتـذارا علنيا إلى مايكـل، وبعث هو الآخر باعتذار علني إلى، فقد كنا مشتركين في نقطة واحدة هي أن كلا منـا لا يستـطيع أن يقول الحقيقة عن الآخر، ولسوء حظي فان ابقاء الأمر في طي الكتمان على هذا النحو معناه ضياع الوقت، أي احتمال أن يموت الملك في السجن أو ينقل إلى مكان آخر.

ونتيجة للصداقة العلنية بيني وبين مايكل كانت شوارع مدينة زندا مفتوحة في النهار لرجال الطرفين، ولكن في الليل يختلف الأمر فلا يستطيع أحد أن يسير آمنا. وذات يوم كنت أسير أنا وفلافيا وسابت في المدينة حين تقدم نحوي رجل تبدو عليه سمات الأهمية كان يركب عربـة، وعـرفت أنـه رئيس البوليس في استرلسو.

قال الـرجـل :ـ ان أوامرك يا مولاي بتحريم المبارزات يجري تنفيذها بدقة تامة.

سألته : ـ هل هذا ما جاء بك إلى زندا ؟

وصممت في نفسي أن أجعله يعود إلى استرلسو فورا لأن وجوده هنا قد يسبب المتاعب.

أجـاب : ـ كلا يا سيدي . . انني هنا بناء على طلب من السفير البريطاني .

سألت متظاهرا بعدم الاهتمام، ولكني كنت أشعر بالقلق في داخلي :

ـ وماذا يريد ؟

ـ ان أحد مواطنيه يا سيدي، ويبدو انه ذو حيثية ما مفقود هنـا في روريتـانيا، ان أصـدقـاءه لم يسمعوا عنه شيئا منذ شهرين وهناك ما يبعث عن الاعتقاد انه هنا في زندا.

كانت فلافيا منصرفة عن متابعة الحديث، ولم أجرؤ أنا على النظر إلى سابت، ولكني سألته :

ـ وما السبب ؟

ـ أحـد أصـدقائه في باريس أبلغنا باحتمال وجوده هنا، وموظفو السكة الحديدية هنا يذكرون اسمه الذي كان مكتوبا على حقيبته .

ـ ما اسمه ؟

ـ راسنديل . . يا سيدي !

ونـظر إلى فلافيا، وخفض صوته قائلا « من المعتقد انه كان يتبع سيدة إلى هنا، هل سمعتم جلالتكم عن مدام دي موبان ؟ ».

قلت وأنا أصوب نظري نحو القلعة :

ـ نعم . . بالطبع .

ـ لقد حلت في روريتانيا في نفس الوقت الذي وصل فيه هذا الراسنديل .

ـ وماذا تظن ؟

ـ إذا افترضنا أنه على علاقة حب مع السيدة فان شيئا لم يسمع عنه منذ شهرين .

وصوب نظره هو إلى القلعة . .

أجبت بهدوء :

ـ أجل . . ان السيدة هناك في القلعة، ولكني لا أعتقد أن هذا السيد راسنديل ـ هل قلت ان هذا اسمه ؟ ـ موجود هناك أيضا .

ـ ان الدوق لا يحب المنافسين يا سيدي . .

قلـت : ـ هذا اتهـام بالغ الخـطورة . . من الأفضل أن تعود رأسا إلى استرلسو.

ـ أعود إلى استرلسو ؟ ولكنه هنا يا سيدي !

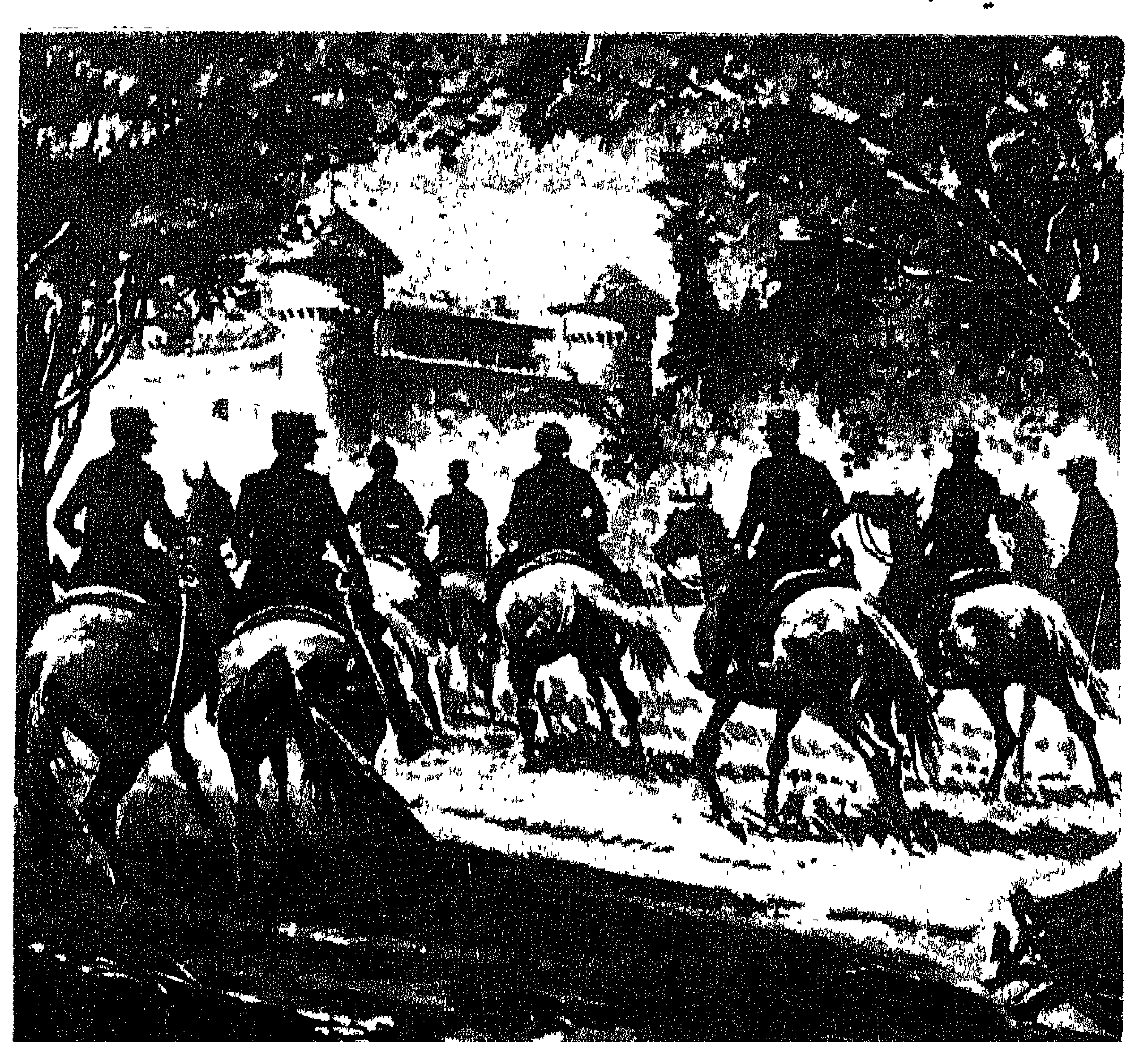
كـررت : ـ عد فورا إلى استرلسو، وابلغ السفير أن لديك بعض المعلومات ، وأنك ستخبره خلال أسبوع بنتائج تحرياتك.

ـ ولكن السفير يلح بشدة يا سيدي !

ـ عليك أن تطمئنه . . وسأتولى أنا الأمر بنفسي.

وعد باطاعتي ، وبأنه سيغادر الليلة إلى استرلسو.

كان يجب وقف أية تحريات عني بأي ثمن لمدة أسبوع أو أسبوعين، وهذا المسؤول الذكي اقترب على نحو مذهل من الحقيقة.



الفصل العاشر

ما كدنا نترك مدير البوليس ونتجه عائدين إلى تارلنهايم، حتى رأينـا موكبا يخرج من قلعة زندا، في المقدمة خادمان يركبان جوادين وقد ارتديا ملابس رسمية، ثم عربة تحمل نعشا، يليها رجل راكب في ملابس سوداء . .

همس سابت :ـ انه روبرت .

وكان هو روبرت بالفعل، وعندما رآنا ترك موكبه، وتقدم منا بحصانه، وانحنى في احترام . .

سألتـــه : ـ من الميت يا سيدي ؟

أجاب روبرت في حزن :ـ انه صديقي لونجرام .

وطافت على وجهه ابتسامة سريعة وهو يرى سابت يضع يده في جيبه، فقد خمن أن سابت يمسك بمسدسه، وهذا صحيح .

سألت فلافيا : ـ هل مات المسكين في مبارزة ؟

ـ قلت : ـ أرجوك أن تعرف يا سيدي أن لا أحد يأسف لهذا الأمر أكثر مني .

أجـاب :

ـ ان كلماتك يا صاحب الجلالة عزاء لي . انني آسف لموت صدقي، ولكن آخرين سوف يرقدون قريبا كما يرقد الآن !

أضاف روبرت بجسارة : ـ حتى الملوك يا سيدي سوف يموتون !

وتحرك يريد الانصراف . . جاءتني فكرة مفاجئة فمضيت وراءه، فالتفت نحوي سريعا كأنه يخشى أن أطلق عليه الرصاص حتى مع وجود الجنازة وأمام عيني سيدة .

قلت له : ـ انك حاربت بشجاعة في الليلة الماضية . . اقترب مني ولا تخف . انك شاب صغير، إذا سلمتني أسيرك حيا فلن يصيبك أي ضرر وأقسم على ذلك .

نظر نحوي بابتسامة ساخرة، وقال :

اسمعني قليلا . . انك قد رفضت عرضا من مايكل الأسود . . إليك الآن عرض مني . .

وخفض صوته ومضى قائلا :

ـ هاجم القلعة بجسارة . . اجعل سابت وتارلنهايم في المقدمة . . .

قلت : ـ استمر . . !

ـ ورتب الوقت معي . .

ـ انني في غاية الثقة بك يا سيدي !

ـ إنني جاد تماما الآن . . في هذا الهجوم سوف يسقط سابت وفريتز، ومايكل الأسود أيضا سوف يسقط . .

ـ مـاذا ؟

ـ أقـول ان مايكـل الأسـود سوف يسقط . . كالكلب تماما . . والأسير، كما تسميه، سوف يذهب في سلم يعقوب ـ أنت تعرفه ! ـ وسيبقى رجلان فقط : أنا . . روبرت أوف هنتزو، وأنت . . ملك رورينانيا .

وتوقف قليلا، ثم مضى قائلا بصوت يرتجف من فرط الحماسة :

ـ أليست هذه خطة تستحق التجربة ؟ أنت تحصل على العرش والأميرة ! وأنا أحصل على مركز مرموق بفضل رضا جلالتك .

صحت فيه قائلا : ـ من المؤكد أنك طالما بقيت على قيد الحياة لن يكون للشيطان أستاذ غيرك !

قـال : ـ حسنا . . فكر في ذلك . . أما عني أنا، إذا كنت في مكـانك، فان أي شعور بالشرف لن يمنعني عن محاولة اقتناص مثل هذه الفتاة و . .

قلـت : ـ أغرب فورا عن وجهي !

ولكني وجـدت نفسي بعـد دقيقـة واحـدة أغـرق في الضحك . لجرأة هذا الرجل، وسألته :

ـ هل تنقلب على سيدك ؟

راح روبرت يسب مايكل ببذاءة، وقال :ـ انه يقف في طريقي، كما تعلم، انه غيور! لقد كدت أغمد سكيني في صدره الليلة الماضية.

بدأت أرهف أذني لسماع هذه المعلومات الجديدة، ولكني سألت في عدم اهتمام :

ـ هل الأمر يتعلق بسيدة ؟

ـ أجل . . سيدة جميلة . . انك قد رأيتها.

ـ آه . . هل هي التي كانت موجودة في حفل الشاي عندما كان بعض أصدقائك على الجانب الخطإ من المائدة ؟

ـ هذا الأحمق ديتشارد . . آه لو كنت أنا الذي هناك!

ـ والدوق يتدخل بينكما ؟

قال روبرت ضاحكا :

ـ بل انني أنا الذي أتدخل . . ومايكل لا يحب ذلك . . ان هذه المخلوقة الحمقاء تفضله هو .. حسنا . . فكر في اقتراحي.

ومضى إلى الأمام ليلحق بموكبه، وأخذت طريق العودة مع فلافيا، وأنا أتعجب لنذالة بعض البشر . . من المؤكد أن روبرت هو أنذل من عرفت في حياتي!

عندما وصلنا إلى قلعة تارلنهايم، ناولني صبي صغير ورقة

مطوية، فضضتها وقرأت فيها : « لقد حذرتك مرة . . والآن، لأجل الله، ان كنت رجلا، انقذني من بيت السفاحين هذا ! أ. دي . م. » . .

ناولت الورقة إلى سابت، وكان كل ما قاله :

ـ ومن الذي جاء بها إلى هناك ؟ غلطة من ؟

شعرت بالأسف نحوها، ولكني عاجز عن مساعدتها تماما كما أنا عاجز عن مساعدة الملك، ثم سرعان ما ازدادت الأمور سوءا، فإلى جانب الخطر الذي يتهددني من تحريات البوليس عن اختفائي، ظهر خطر جديد، فقد بدأ الناس في استرلسو ينتقدون غيابي عن العاصمة، وحضر المارشال ستراكنز ومعه المستشار ليطلب مني تحديد يوم لاعلان خطبتي للأميرة والخطبة في روريتانيا ملزمة كحفل الزفاف نفسه.

كانت فلافيا جالسة إلى جانبي، لذا فقد اضطررت إلى تحديد يوم بعد أسبوعين، وأدى هذا النبأ إلى ابتهاج كبير في كل أنحاء المملكة . . رجلان فقط ضايقهما النبأ هما مايكل الأسود وأنا نفسي، ورجل واحد لم يعرف بهذا النبا هو الملك !

سمعنا من جوهان كيف استقبلوا هذه الأنباء في قلعة زندا، ولكنا سمعنا شيئا أكثر خطورة هو أن الملك مريض

للغاية، أضعف من أن يتحرك، وقد أحضروا له طبيبا، ولكن الطبيب أصيب بالذعر لما رأى، فأمر الدوق بابقائه سجينا في نفس غرفة الملك. وكذلك كانت انطوانيت دي موبان تساعد في تمريض الرجل المريض . . لقد أصبح واضحا تماما أن حياته في خطر . . وهأنذا قوي، في صحة جيدة، وأتمتع بحريتي.

سألت جوهان :

ـ وكيف يحرسون الملك الآن ؟

قال جوهان :

ـ ديتشارد وبيرسونين يتوليان الحراسة أثناء الليل، وروبرت هنتزو ودي جوتيه أثناء النهار، فيما عدا أن الدوق. لا يسمح بتواجد روبرت وهنتزو هناك أثناء وجود مدام دي موبان مع الملك يا سيدي.

وأخذ جوهان يتوسل إلينا أن نبقيه معنا في تارلنهايم، ولكننا أعطيناه مزيدا من النقود وطلبنا منه العودة إلى زندا وأن يبلغ انطوانيت بأننا سنفعل كل ما في وسعنا لانقاذها وان يطلب منها أن تهدئ من روع الملك ان أمكن ببضع كلمات، فليس هناك ما هو أسوأ على المريض من اليأس.

وحصلنا من جوهان على معلومات دقيقة عن أين ينام كل فرد في القلعة، قال أن اثنين من الستة (هم الآن أربعة) اللذين ليسا في نوبة حراسة على الملك ينامان في غرفة تعلو غرفته، والوصول إلى هذه الغرفة يكون عن طريق بضع درجات من داخل الباب الرئيسي، أما غرفة مايكل فهي في الطابق الأول من القلعة الجديدة، وتشغل مدام دي موبان غرفة أخرى في نفس المبنى ، وقد تعود الدوق أن يغلق عليها الباب من الخارج بعد أن تأوي إلى فراشها ، وفهمت السبب في ذلك بعد محادثتي مع روبرت ، أما القنطرة المتحركة فيتم سحبها أثناء الليل ويحتفظ مايكل بمفتاحها معه .

سألت جوهان : ـ و أين تبيت أنت ؟

ـ في مدخل القلعة الجديدة يا سيدي مع الخدم الآخرين .

قلت له : ـ اسمع يا جوهان ، لقد وعدتك بعشرين ألف كراون، سوف أعطيك خمسين ألفا إذا فعلت ما أطلبه منك غدا مساء، في الساعة الثانية تماما من صباح غد عليك أن تفتح الباب الأمامي للمبنى الجديد، قل انك تريد أن تستنشق بعض الهواء المنعش، أو ما شئت من أسباب، ولكن لا تتأخر دقيقة واحدة .

ـ هل ستكون هناك يا سيدي ؟
ـ لا تسل أي سؤال . . عليك أن تفعل ذلك فحسب .
هل أهرب بعد أن أفتح الباب ؟
ـ نعم، وبأسرع ما يمكن أن تحملك ساقاك، وهناك شيء آخر . . خذ هذه المذكرة إلى مدام دي موبان وقل لها أن حياتنا جميعا متوقفة على أن تفعل تماما ما هو مكتوب في المذكرة . .

كان الرجل يرتجف وهو يستمع إلى ما أطلبه منه، ولكن كان علي أن أثق في أنه يمتلك من الشجاعة بقدر ما يمتلك من الأمانة، فلم يكن في مقدوري الانتظار، لقد فشلت مع سلم يعقوب، وينبغي أن أجرب خطة أخرى.

ثم استدعيت سابت وفريتز وشرحت لهما خطتي. هز سابت رأسه وقال :
ـ ولماذا لا تنتظر بعض الوقت ؟
ـ ان الملك قد يموت .
ـ ان مايكل عليه أن يتصرف قبل أن يحدث ذلك . . هل تراه يغامر بتركك على العرش مع وفاة الملك ؟
ـ ليس هذا هو الاعتبار الوحيد . . لنفرض ان الملك عاش أسبوعين آخرين ؟

عض سابت طرف شاربه ، ووضع فريتز يده على كتفي ، وقال :

ـ أنت على حق يا رودلف . . دعنا نقوم بالمحاولة .

قال سابت :

ـ سوف أقوم بالهجوم أنا وفريتز، إذا فشلنا، وقتل مايكل الملك ، وربما قتلنا نحن أيضا ، فلتظل أنت على قيد الحياة لتحكم .

قلت : ـ كلا . . لقد قبلت أن أكون مخادعا لصالح شخص آخر، ولن أكون كذلك لصالحي الشخصي ، إذا لم يكن الملك حيا في يوم الخطبة ، سوف أعلن الحقيقة على العالم ، وليكن ما يكون .

قال سابت : ـ افعل ما بدا لك أيها الشاب !

كانت خطتي على النحو التالي :

تزحف جماعة قوية من المقاتلين تحت قيادة سابت إلى باب القلعة الجديدة ، إذا قابلوا أي شخص في طريقهم عليهم بقتله في الحال باستخدام السيوف ان أمكن لتفادي إحداث ضجة . عندما يفتح جوهان الباب يندفعون إلى الداخل ويأسرون الخدم . في نفس هذه اللحظة ـ والخطة كلها تعتمد على هذا ـ ترتفع صرخة امرأة عالية مجلجلة من غرفة

انطوانيت دي موبان، وتظل تصيح مرة بعد أخرى : النجدة ! النجدة ! مايكل، النجدة ! انه روبرت هنتزو ! عندئذ نأمل أن يندفع مايكل من غرفته المجاورة فيقع في أيدي سابت ورجاله، بينما تستمر المرأة في الصياح، ويأخذ رجالي المفتاح من مايكل ويرسلون القنطرة المتحركة عبر الخندق. من الأرجح عندئذ أن روبرت عندما يسمع صياح انطوانيت وهي تتهمه بالباطل ويرى القنطرة فوق الخندق سوف ينزل من غرفته ويجتاز القنطرة ليرى ما الخبر. أما دي جوتيه فقد يأتي معه أو لا يأتي، فلنترك ذلك للصدفة.

وعندما يكون روبرت فوق القنطرة يأتي دوري أنا، سوف أسبح في الخندق المائي مرة أخرى وأختبئ تحت القنطرة وأقتل روبرت - ودي جوتيه أيضا إذا جاء - متسترا بظلام الليل. عندئذ لن يكون هناك سوى الرجلين اللذين يحرسان الملك وهما ديتشارد وبيرسونين، والأغلب أنهما أمام هذا الاضطراب العام سوف ينشغلان بالدفاع عن نفسيهما بدلا من اطاعة الأوامر التي لديهما بقتل الملك . . وهناك فرصة أخرى في أن يسارع ديتشارد باجتياز القنطرة لمساعدة مايكل ظنا منه بوجود معركة بينه وبين روبرت، وبذلك يبقى بيرسونين وحده لحراسة الملك.

هذه هي الخطة . . والدافع الوحيد لها هو اليأس، وحتى أخفي استعداداتنا بقدر الامكان، أمرت باضاءة كل الأنوار في قلعة تارلنهايم لـلايحاء بأننا نقيم حفلة راقصة للترويح عن أنفسها، وأمرت المارشال ستراكتز - إذا لم نعد في الصباح - بأن يهاجم قلعة زندا ويستولي عليها ويطلب رؤية الملك فإذا لم ير الملك عليه أن يأخذ فلافيا فورا إلى استرلسو، ويعلن أنها الملكة، ويبلغ الأمة بأن مايكل الأسود قتل الملك.



والحقيقـة ان هذا هو ما كنت أتوقع حدوثه فعلا، فقد كنت أعتقد أن ثلاثتنا ـ أنا ومايكل والملك ـ لن نبقى على قيد الحياة سوى يوم واحد فقط.

انتهينا من الترتيبات في وقت متأخر، وذهبت لأودع فلافيا قبـل أن تنـام، ونزعت من أصبعي خاتما ـ خاتم أسرتي ـ وأعطيته لها قائلا :

ـ ضعي هذا الخـاتم في أصبعـك ولا تنـزعيه حتى لو حصلت على غيره عندما تصبحين ملكة.

قالت فلافيا وهي تقبل الخاتم :

ـ مهما لبست من خواتم لن أنزع هذا الخاتم من اصبعي حتى أموت.

قالت ذلك وترقرقت الدموع في عينيها وفي عيني!

الفصل الحادي عشر

كانت الليلة لطيفة صافية على عكس ما كنت أرجو، فقد كنت أفضل أن يكون الطقس سيئا كما كان في مغامرتي الأولى، وعلى أية حال فكرت في أنني لو التصقت بجدار القلعة القديمة فلن يراني أحد من نوافذ المبنى الجديد عبر الخندق المائي، وخشيت أيضا انهم قد يفتشون الخندق، ولكني استبعدت هذه الفكرة لأن جوهان أبلغني انهم قاموا بتقوية سلم يعقوب ولم يصبح في امكان أحد أن يحركه . . وقلت في نفسي حتى لو كان جوهان غير صادق معنا فانه لا يعرف خطتي وكل ما يتوقعه أن أكون مع أصدقائي عند الباب الأمامي عندما يفتحه في الساعة الثانية صباحا .

بدأت مجموعة سابت في التحرك عند منتصف الليل سالكة طرقا مهجورة وأجزاء من الغابة للوصول إلى قلعة زندا، وكان التقدير أنه لو سار كل شيء على ما يرام ستصل المجموعة إلى الباب في الساعة الثانية الا ربعا، فإذا لم يفتح

الباب فان على فريتز أن يدور حول الجانب الآخر من القلعة ويقابلني ، إذا كنت لا أزال على قيد الحياة ، فإذا لم يجدني عليه أن يعود إلى تارلنهايم ويجمع أكبر عدد ممكن من الرجال ويهاجم القلعة ، لأنني ان لم أكن موجودا لمقابلة فريتز سأكون قد مت ، وهذا معناه أن الملك أيضا يكون قد لقى حتفه بعدي بثوان معدودة .

وذهبت أنا نفسي وحيدا بعد أن تدثرت بملابس ثقيلة حتى لا يعوقني الشعور بالبرد عن أداء مهمتي في الخندق المائي على أكمل وجه ، وأخذت معي حبلا خفيفا وسلما صغيرا من الحرير، وسلكت الطريق الأقصر فوصلت في الثانية عشرة والنصف ، وهناك نزلت من فوق جوادي وربطته إلى شجرة بعيدا عن النظر، ثم نزلت إلى الخندق المائي .

ربطت الحبل في جذع شجرة، وانغمست في الماء ، وعندما بدأت أسبح في بطء ، سمعت ساعة القلعة تدق الواحدة الا ربعا ، خلال دقائق كنت قد وصلت إلى سلّم يعقوب . . ووقفت أنتظر في ظله . . وعلى مسافة عشر ياردات أمامي كانت القنطرة لاتزال ممتدة عبر الخندق لم تسحب بعد ، وكان يمكنني أن أرى على الجانب الآخر من الخندق. نوافذ غرفتي الدوق ومدام دي موبان ، هذا إذا كان جوهان قد شرح موضعهما بدقة .

فجأة رأيت نافذة غرفة الدوق تفتح ، ورأيت انطوانيت في ضوء الغرفة تطل من النافذة. كدت أصيح « تذكري ! » ولكني لم أجرؤ، وبعد دقيقة جاء رجل ووقف إلى جانبها، فقفزت مبتعدة عنه، ثم سمعت ضحكة خافتة، كان الرجل هو روبرت ! وبعد لحظات رأيته يتحدث في همس إلى انطوانيت.

تمتمت في نفسي : تمهل أيها الفتى . . لا تتعجل الأمور ! ثم تقدم روبرت ونظر من النافذة، وسمعته يقول : إنه يستحق الشنق . . هذا المايكل الأسود . . ألا تكفيه الأميرة ؟ . . هل يريد أن يأخذ كل شيء ؟ . . ماذا بحق الشيطان يعجبك في مايكل الأسود ؟

بدأت انطوانيت تتحدث :

- إذا أنا أبلغته بما تقول . .

قاطعها روبرت في عدم اهتمام :

- حسنا . . اخبريه !

ثم اندفع فجأة إلى الأمام، وقبلها، وضحك عاليا وقال : - هذا شيء تستطيعين أن تخبريه به !

رفعت المرأة المسكينة يديها فوق رأسها، كأنها تصلي، أو كعلامة على اليأس.

ومضى روبرت قائلا :

ـ هل تعرفين بماذا وعدني إذا قطعت رقبة ممثل المسرحية ؟ « انه سيتزوج الأميرة، أما أنت فستكونين لي، ولكني لا أريد أن أنتظر . . هذا هو كل شيء » .

سمعت صوت باب يفتح، ثم جاء صوت مايكل الأسود :

ـ ماذا تفعل هنا، أيها السيد ؟

وظهر مايكل خلال فتحة النافذة، وهو يمسك روبرت من ذراعه، وقال له في غضب :

ـ ان الخندق المائي يتسع لأكثر من جثة الملك .

ـ سأله روبرت في جسارة :

ـ هل سموك يهددني ؟

أجاب مايكل :

ـ انني لا أهدد أحدا ويبقى على قيد الحياة .

قال روبرت في استهزاء :

ـ ولكن ما أكثر ماهددت رودلف راسنديل، وهو لايزال حيا فيما أعتقد !

ـ هل غلطتي ان خدمي وقعوا في أخطاء غبية ليلة محاولة القبض عليه ؟

قال روبرت ساخرا :

ـ ولكنك يا صاحب السمو لم تغامر حتى بارتكاب الأخطاء !

كان معنى ذلك بوضوح أنه يتهم الدوق بالجبن، ولكن مايكل الأسود استطاع أن يتمالك أعصابه، وقال في صوت هادئ : ـ كفى ! كفى ! لا ينبغي أن نتشاجر يا روبرت. هل ديتشارد وبرسونين في مكانهما ؟

ـ هما كذلك يا سيدي.

ـ حسنا . . أنا لا احتاجك هنا أكثر من ذلك.

قال روبرت :

ـ ولكني لست متعبا أو في عجلة من أمري.

ـ اذن، أرجوك أن تتركنا الآن، ان القنطرة سوف ترفع خلال عشر دقائق، ولا أعتقد انك تريد أن تبلغ فراشك عائما . .

اختفى شبح روبرت، سمعت الباب يفتح ثم يغلق، ولم أعد أرى مايكل وانطوانيت، ثم سمعت صوت روبرت على الطرف الآخر من القنطرة، وهو ينادي على زميله دي جوتيه :

ـ دي جوتيه . . إذا كنت لا تريد أن تأخذ حماما قبل النوم، تعال معي الآن.

وبعد لحظة، ظهر دي جوتيه، وعبر الرجلان القنطرة إلى القلعة القديمة، وسحبت القنطرة من مكانها. دقت الساعة الآن الواحدة والربع.

مضت عشر دقائق - فيما أعتقد - قبل أن أسمع ضجة خفيفة بالقرب مني خلف الأنبوبة، ودهشت لرؤية روبرت يظهر أمام باب القلعة القديمة، كان يتقدم نحو الخندق المائي ثم نزل عدة درجات مغطاة تحت الماء لم ألحظ وجودها من قبل، وبدأ يعوم وقد أمسك سيفيه بدون غمد بين أسنانه، إذاكان الأمر يتعلق بي فقط لسبحت تجاهه وواجهته في الماء، فلا أحب إلى قلبي من أن أقاتله فورا وهنا! ولكني منعت نفسي، ان مهمتي هي انقاذ الملك ولا ينبغي أن أنسى ذلك.

أخذ روبرت يسبح في هدوء وسهولة عبر الخندق المائي ثم صعد إلى عتبة القلعة الجديدة، وسمعته يفتح الباب ثم يختفي داخله. من الواضح اذن أن هناك خططا أخرى غير خطتي يجري تنفيذها في قلعة زندا هذه الليلة.

خطر لي فجأة أنه بغض النظر عن أية خطط شريرة يدبرها روبرت الآن، فان ابتعاده عن القلعة القديمة فيه فائدة كبرى

لي، فسوف أواجه ثلاثة رجال فقط ليس من بينهم روبرت، آه . . ليتني كنت أملك مفاتيح القلعة الآن !

كانت نافذة انطوانيت لاتزال مضاءة، ولكن نافذة مايكل مظلمة، لابد أنه مستغرق في النوم الآن، ثم سمعت عبر الخندق المائي صوت باب يفتح بسرعة وهدوء، ترى ما الذي يحدث ؟ لم يلبث أن جاءني الجواب، فقبل أن يقترب رجالي من القلعة الجديدة، وقبل أن يتمكن جوهان من فتح باب القلعة، سمعت صوت تهشيم زجاج في غرفة انطوانيت . . صوت مصباح يتهشم، وفي نفس اللحظة أظلمت الغرفة وارتفعت منها صرخة شقت سكون الليل « النجدة ! النجدة ! مايكل ! ».

كدت أجن لعدم استطاعتي أن أفعل شيئا فاكتفيت بصعود الدرجات الصخرية والوقوف أمام بوابة القلعة القديمة. لن يستطيع أحد الآن أن يدخل أو يخرج دون أن يواجهني.

صرخت انطوانيت مرة أخرى، ثم سمعت صوت باب مايكل يفتح، وسمعت الدوق يصيح : « افتحي الباب ! بحق السماء ! ما الأمر ؟ » التوت اكرة الباب في عنف، ونطقت انطوانيت بنفس الكلمات التي كتبتها لها في مذكرتي : « النجدة ! مايكل ! انه روبرت هنتزو ! ».

اصطفق الباب مفتوحا، وجاء صوت صلصلة سيوف، وفي نفس اللحظة انفتحت نافذة فوق رأسي وسمعت صوت دي جوتيه يتساءل : « ما الخبر؟ » حدث كل ذلك بسرعة كبيرة بحيث لا أستطيع أن أصف الآن ما حدث بالضبط، كل شيء كان يحدث في نفس اللحـظة، انفتحت نافـذة انطوانيت على اتساعها، وسمعت صيحة رجل جريح، ثم ظهر روبرت في الصورة، كان ظهره إلى النافذة، وهو يبارز بقوة. سمعته يقول :

ـ هذه من أجلك يا جوهان ! والآن تقدم يا مايكل.

اذن . . جوهـان هناك . . لقد جاء لنجدة الدوق ! لن يستطيع الآن أن يفتح الباب !

وصـاح الدوق في صوت واهن ضعيف : « النجدة ! » وارتطم جسده بالأرض.

سمعت وقع أقدام على السلالم من خلفي، ولكن قبل أن يأتي أحد رأيت روبرت وحوله خمسة أو ستة رجال وقد قفز فجـأة إلى النافذة حيث مكث برهة وهو يضحك كمجنون أسكرته الدماء، ثم ألقى بنفسه في الخندق المائي واعتلى القنطرة.

في نفس اللحـظة ظهـر وجـه دي جوتيه في البـاب إلى

جانبي، فضربته بأقصى قوتي، وسقط ميتا أمام البوابة، أخذت أبحث في جيوبه عن المفاتيح في عنف وعجلة، وجدت ثلاثة مفاتيح فقط، جربت واحدا منها في الباب المؤدي إلى غرفة الملك، كان المفتاح المناسب! فتحت الباب بقدر ما أستطيع من الهدوء، ودخلت، ثم أغلقت الباب من ورائي، وجدت أمامي بضع سلمات تبدو واضحة في ضوء لمبة جاز معلقة على الحائط، أخذت المصباح، ووقفت أتصنت.

سمعت من وراء الباب الذي يواجهني في أسفل السلالم صوتا يقول: «ما هذا؟» ورد صوت آخر «هل نقتله؟».

وجاءت فترة صمت، رهيبة بالنسبة لي بما فيه الكفاية، ثم سمعت صوت ديتشارد يقول «انتظر لحظة.. وقد تحدث متاعب إذا قتلناه حالا».

في اللحظة التالية، سمعت صوت الباب الداخلي يفتح، فأطفأت لمبة الجاز، وأعدتها إلى مكانها على الحائط.

قال بيرسونين: ان اللمبة مطفأة.. الظلام دامس.

جاءت الآن أخطر لحظة في المغامرة..

اندفعت نازلا على السلالم، وارتطمت بكل قوتي في الباب، فانفتح على آخره، وجدت بيرسونين واقفا هناك وسيفه

في يده، بينـما كان ديتشـارد جالسـا على أريكـة، تراجـع بيرسـونـين خطوة أو اثنتين لفرط الدهشة من رؤيتي، وقفز ديتشارد واقفا والتقط سيفه، اندفعت بجنون نحو البلجيكي وزنقته في الحائط، كان رجلا شجاعا ولكنه لا يجيد اللعب بالسيف، وفي لحظة واحدة كان ملقى على الأرض أمامي، التفت إلى ديتشارد فلم أجده، كان مخلصا في تنفيذ الأوامر التي لديه فلم يغامر بمبارزة معي وانما اندفع رأسا إلى الغرفة الداخلية المحبوس فيها الملك وأغلق الباب خلفه، لابد انه الآن يقوم بمهمته في الداخل.

من المؤكـد انه كان في مقدور ديتشارد أن يقتل الملك، وربـما أن يقتلني أنا أيضا، لولا وجود رجل مخلص ضحى بحياته من أجل الملك، إذ عندما كسرت الباب كان المنظر أمامي كالتاي : الملك يقف في ركن الغرفة، ضعيفا من شدة المـرض، لا يستـطيع أن يفعـل شيئـا سوى أن يحرك يديه المقيدتـين بالسـلاسـل إلى أعـلى وأسفـل، وكـان يضحك ضحكات هستيرية كرجل أصابه الجنون، وفي وسط الغرفة رأيت الـطبيب. وقـد ألقى بنفسـه على ديتشـارد وأمسـك بذراعيه إلى جانبه لحظة واحدة، ولكن ديتشارد حرر نفسه من حضن الرجل، وعندما كنت أندفع داخلا أغمد سيفه في صدر الرجل المسكين.

والتفت نحوي صائحا : ـ أخيرا ! !

تواجهنا سيفا بسيف . . ولحسن الحظ لم يكن ديتشارد أو بيرسونين يحمل مسدسه، فقد وجدت المسدسين بعد ذلك على رف بالقرب من الباب، ولم يستطيعا الوصول إليهما بسبب اندفاعي المفاجىء إلى الغرفة، نعم . . كنا رجلا يواجه رجلا . . وأخذنا نتبارز في صمت وقسوة، وأشهد انه كان مبارزا بالسيف أفضل مني، وقد استطاع أن يدفعني ببطء إلى الحائط، وارتسمت على وجهه ابتسامة وهو يجرحني بالسيف في ذراعي الأيسر.

لا ينبغي أن أزهو بكوني الفائز في المبارزة، فهو أفضل لاعب بالسيف قابلته في حياتي، ومن المؤكد انه كان يستطيع أن يقتلني ثم يقوم باغتيال الملك بعد ذلك لو كنا وحدنا في تلك الغرفة. ولكن الملك على ضعفه وجنونه أخذ يقفز إلى أعلى وأسفل ويصيح : « أخي رودلف ! سوف أساعدك ! أخي رودلف » . . والتقط كرسيا وتقدم نحونا.

صحت به :

ـ تقدم . . تقدم . . ادفع الكرسي في رجليه.

أخذ الملك يضحك بهستيرية وهو يتقدم رافعا الكرسي أمامه.

قفز ديتشارد إلى الخلف وهو يصيح من الغضب وقبل أن أدرك ما يريد أن يفعله وجه سيفه إلى الملك وطعنه بسرعة فسقط على الأرض وهو يصيح من الألم. وبدأ ديتشارد يلتفت نحوي مرة أخرى، ولكن دماره كان نتيجة فعله هو، إذ بينما كان يلتفت نحوي داس بقدميه فوق دم الطبيب القتيل واختل توازنه وسقط، وقبل أن يستعيد توازنه كنت قد ركبت فوقه ودفعت سن السيف في رقبته فسقط كومة هامدة فوق جثمان الطبيب الوفي.

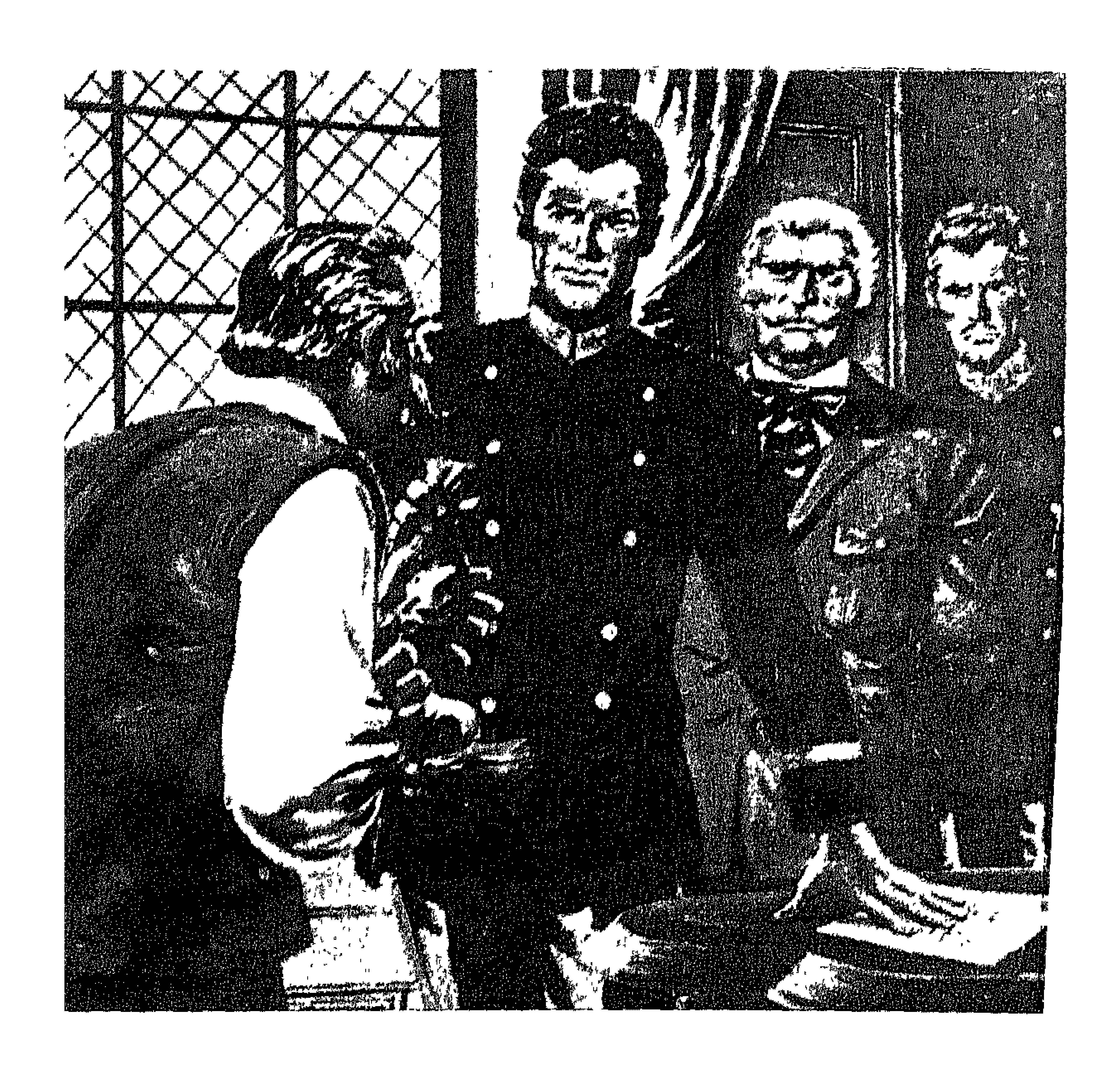
كان أول خاطر طاف في ذهني بعد ذلك هو:

هل مات الملك ؟! اندفعت إلى حيث يرقد وحاولت أن أستمع إلى دقات قلبه، ولكن في نفس اللحظة سمعت صوتا جعلني أقفز واقفا في ثانية واحدة، كان صوت القنطرة المتحركة وهي تمتد عبر الخندق المائي، معنى ذلك أنني يمكن أن أقتل كفأر في مصيدة، ويقتل الملك معي إذا كان لايزال على قيد الحياة، إذا هاجمنا أحد من الخارج.

عندما مررت بالغرفة الأخرى، وجدت المسدسين فأخذت أحدهما، ووقفت وراء باب الغرفة الخارجية أتصنت، ترى من الذي مد القنطرة ؟ أصدقائي ؟ انني على استعداد الآن أن أضحي بالعالم كله من أجل أن أسمع

صوت سابت، أخذت أفكر في ذلك وأنا واقف أحاول أن التقط أنفاسي وأضمد جرح ذراعي بشريط من القماش مزقته من قميصي.

فكرت أنني أستطيع الدفاع عند الباب الضيق بأعلى السلم أفضل من الدفاع عند هذا الباب الخارجي، قفزت إلى أعلى ووقفت أنصت من جديد.



ترددت في الاجواء ضحكة عالية مجلجلة . . انني أعرفها جيدا . . ضحكة روبرت هنتزو الصغيرا جاءت كمفاجأة تامة بالنسبة للزمان والمكان ، دلتني على أن رجالي لم يصلوا إلى القلعة الجديدة ، لأنهم إذا كانوا قد وصلوا إلى هناك لما بقى روبـرت على قيد الحياة ، في امكـانهم أن يطلقوا عليه الـرصاص من أية مسافة ، وهنا دقت الساعة النصف بعد الثانية ، يا الهي ! ان باب القلعة الجديدة لم يفتح ! فذهبوا إلى المكـان الـذي من المفـروض أن أقـابـل فيه فريتـز ، فلم يجدوني ! انهم الآن بالتـأكيد في طريق العـودة إلى تارلنهايم ومعهم خبر موت الملك ، وموتى . .

الفصل الثاني عشر

ظللت لمدة دقيقة أو دقيقتين واقفا وراء الباب وقد زايلتني الشجاعة، ثم دبت في روح الشجاعة من جديد وأنا أسمع روبرت يصيح :

ـ لقد عادت القنطرة! اخرج لي! ان كنت تملك ذرة من الشجاعة يا مايكل الأسود.. ابعدوا أيها الكلاب! مايكل.. تقدم وقاتل من أجلها..!

أعددت نفسي للقتال، فأدرت المفتاح في الباب وأغلقته..

كان منظرا غريبا.. على الجانب البعيد من القنطرة يقف عدد من خدم الدوق، بعضهم يحمل مشاعل وآخرون يحملون أسلحة حديدية قديمة الطراز، كانوا جميعا شاحبي الوجوه يبدو عليهم الخوف، وكان روبرت يقف في منتصف القنطرة شاهرا سيفه، في المؤخرة رأيت جوهان ممسكا بمنديل يحاول به ايقاف الدم المنبثق من جرح في وجهه، لم يجرؤ واحد منهم على الحركة إلى الأمام.

كانت هذه مصادفة غريبة جعلت مني سيد الموقف، فهؤلاء الجبناء لن يستطيعوا معارضتي كما لم يستطيعوا على مهاجمة روبرت، فما علي إلا أن أرفع مسدسي وأطلق الرصاص على رأسه، وهو ليست لديه فكرة عن وجودي هنا. ولكني لم أفعل شيئا من ذلك، ولا أدري لماذا إلى الآن، ربما لأني قتلت رجلا من الخلف تحت ستار الليل، ثم قتلت آخر بمحض الحظ، يكفيني قتلا بهذه الطرق الرخيصة، ثم انني لم أكن أريد أن أكون واحدا من هذه الشرذمة التي تواجهه، ولكن الأقوى من هذه المشاعر جميعا كان الشعور بالفضول، كنت أريد أن أرى ما سوف يحدث.

صاح روبرت:

ـ مايكل.. أيها الكلب! إذا كنت تستطيع الوقوف تعال إلى هنا.

جاء الجواب في شكل صيحة حادة من امرأة:

ـ يا الهي.. انه ميت!

صاح روبرت:

ـ ميت! اذن كانت ضربتي أحسن مما أعرف.

وضحك في انتصار، وصاح:

ـ ضعوا أسلحتكم أيها الأوباش! انني سيدكم الآن، ضعوا أسلحتكم.. قلت لكم!

أعتقد أنهم أطاعوا أمره، ولكن بينما كان يتكلم حدثت أشياء جديدة . . أو جاءت صيحات عديدة وطرقات على الجانب الآخر من القلعة الجديدة، رقص قلبي فرحا، لابد أن هؤلاء هم رجالي، لم يطيعوا أوامري لحسن الحظ وجاءوا لنجدتي، استمرت الضجة ولكن أحدا لم يهتم بها، ففي نفس اللحظة شقت انطوانيت طريقها وسط الخدم وتقدمت على القنطرة، كانت ترتدي رداء نوم أبيض فضفاضا، وشعرها الأسود يتهدل على كتفيها، كان وجهها شاحبا كوجوه الموتى . . وعيناها تبرقان بوحشية، وكانت تشهر مسدسا بيديها المرتعشتين، ورفعت المسدس وأطلقت النار على روبرت، لم تصبه الطلقة وأصابت الباب الخشبي فوق رأسي .

قهقه روبرت وقال :

ـ حقا يا سيدتي، إذا كانت عيناك لا تزيدان خطورة عن تصويبك لما كنت الآن في هذا الموقف وما كان مايكل الأسود قد مات هذه الليلة !

حاولت انطوانيت أن تتمالك أعصابها، وصوبت مسدسها نحوه بثبات مرة أخرى، تصورت انه يكون مجنونا لو خاطر بتلقي رصاصة أخرى وتوقعت أن يجري نحوي، فصوبت إليه مسدسي .

ولكن روبرت صاح قائلا :

ـ لا يمكنني أن أضرب امرأة قبلتها . . . !

وقفز من فوق القنطرة إلى الماء . وفي نفس اللحظة سمعت ضجة اقدام داخل القلعة الجديدة، وجاء صوت أعرفه تماما، كان صوت سابت يصيح « يا الهي ! انه الدوق، انه ميت ! » .

عندئذ عرفت ان الملك لم يعد يحتاجني إذا كان لايزال على قيد الحياة، فألقيت مسدسي واندفعت على القنطرة، سمعت الخدم يصيحون في دهشة « الملك . . الملك »، وقفزت إلى الخندق المائي وراء روبرت .

رأيته على مسافة 15 ياردة أمامي يسبح بسهولة وكفاءة، وكنت أنا متعبا وجريحا، فلم أستطع أن الحق به في السباحة، وعندما وصلنا إلى زاوية جوار القلعة ناديته قائلا :

ـ قف، روبرت، قف !

ورأيته ينظر من فوق كتفه، ولكنه لم يتوقف، ولم يعرفني في الظلام. لم تكن هناك طريقة للخروج من الخندق المائي الا بتسلق الحبل الذي ربطته في الشجرة، ربما يعثر عليه روبرت أولا يعثر. سوف أعرف حالا، سمعته يقول : « بحق الشيطان من أتى بهذا الحبل إلى هنا » . . ثم أمسك بالحبل

وتسلق حائط الخندق المائي وفي نفس اللحظة وصلت أنا إلى مكانه ورآني.

صاح في دهشة : ـ هالو ! . . . من هناك ؟ ماذا ؟ انه « ممثل المسرحية » ! . . كيف جئت إلى هنا يا رجل ؟

أمسكت بطرف الحبل، ولكني توقفت، انه يقف على الضفة وسيفه في يده ويمكنه أن يشج رأسي وأنا أصعد على حائط الخندق.

قلت :ـ لا دخل لك، ولكني مادمت هنا، سوف أبقى هنا.

ابتسم لي وبدأ يقول : ـ هؤلاء النساء . .

وفجأة أخذ جرس القلعة الكبير يدق بعنف وجاءت صيحة عالية من الخندق، فلوح روبرت بيده لي، وقال وهو ينطلق هاربا :

ـ كنت أود أن يكون لي قتال معك . . ولكن حرارة الموقف لا تسمح بذلك.

في لحظة واحدة كنت قد تسلقت حائط الخندق المائي مستخدما الحبل، رأيت روبرت على مسافة 30 ياردة أمامي يندفع في سرعة الغزال باحثا عن مخبأ في الغابة . . ها هو روبرت في هذه المرة يفضل الحكمة على الشجاعة، اندفعت

جاريا وراءه منـــاديا عليه أن يقـف، ولـكنـــه استمـــر في الهرب . . تساعده على ذلك قوته وكونه لم يصب بجراح ، لذا كان يزداد ابتعـادا عني في كل خطوة ، أما أنا فقد واصلت مطاردته ناسيا كل شيء في الدنيا فيما عدا تعطشي إلى دمائه ، وسرعان ما ابتلعتنا نحن الاثنين ظلال الغابة وأشجارها المتقاربة .

الساعة الآن بلغت الثالثة ، ونور النهار يقترب وأنا أجري فوق طريق طويل تنمو فيه الحشائش القصيرة وعلى مسافة مائة ياردة أمامي يجري روبرت الصغير، نظر إلي من فوق كتفـه وهو يلوح بيده استهزاء لأنه رأى أن ليس في امكاني اللحاق به ، وبعد لحظة اختفى عن نظري ، وظننت أن كل شيء قد انتهى .

كنت على وشـك السقوط على الأرض من فرط الأعياء عنـدمـا سمعت صرخـة تشق هدوء الغابة ، كانت صرخة امـــرأة، فاسـتـجـمـعت كل ما بقي من قوتي ، وواصلت العـدو . . رأيته مرة أخرى ، كان يجذب فتاة تركب جوادا ليركبه هو، وهي التي صرخت الصرخة التي سمعتها ، كانت بالتـأكيد ابنة مزارع في طريقها في الصباح الباكر إلى سوق زندا لبيع محاصيل مزرعتها ، عاملها روبرت برفق فأعطاها

قبلة وبعض النقود، ولكنه عندما استوى جالسا على الحصان، توقف انتظارا لي وقال وأنا أقترب منه :

ـ ماذا كنت تفعل في القلعة ؟

قلت : ـ قتلت ثلاثة من أصدقائك.

ـ ماذا ؟ هل وصلت إلى حجرة الملك ؟

ـ نعم . . وأرجو أن يكون على قيد الحياة حتى الآن . . لقد، قتلت ديتشارد.

قال في شيء من السرور : ـ حسنا فعلت !

ـ وفعلت شيئا آخر أيضا . . لقد أنقذت حياتك، كنت وراءك وأنت تقف على القنطرة ومسدسي في يدي.

ـ إذن فقد كنت بين نارين ؟

قلت : ـ انزل من فوق الحصان . . وقاتل كرجل.

قال ساخرا : ـ ماذا ؟ نتقاتل أمام سيدة ؟

استبد بي الغضب فاندفعت نحوه غير مدرك تماما لما أفعل، وضربته بسيفي في وجهه، بدت عليه الدهشة الشديدة لجرأتي، ولكنه قبل أن يلتفت نحوي لينهي حياتي بطعنة من سيفه فوق جواده سمعت طلقة من وراء ظهري فالتفت لأرى في بداية الطريق رجلا يندفع نحونا فوق جواده، كان هو فريتز فون تارلنهايم، عرف روبرت ان اللعبة قد انتهت، فصاح : ـ إلى اللقاء يا راسنديل.

وانحنى لي محييا بوجهه الذي يقطر دما وانطلق بأقصى سرعة. أطلق فريتز طلقة أخرى نحوه أصابت سيفه فسقط من يده على الأرض ولكن روبرت ظل مدفعا بجواده لا يلوي على شيء . . ووقفت أراقبه وهو يجري، ويطلق ضحكات شيطانية عالية، والتفت نحوي مرة ورفع يده محييا، ثم اختفى . .

ألقيت بسيفي على الأرض وصحت في فريتز أن يتعقبه، ولكن فريتز أوقف جواده وقفز منه وجرى نحوي. لقد وصل فريتز في الوقت المناسب تماما لأن الجرح الذي أصابني به ديتشارد بدأ يدمي بشدة من جديد.

صحت وأنا أحاول التوازن على قدمي :

ـ اذن أعطني الحصان، وسوف أتعقبه أنا.

ولكن قبل أن أنهي عبارتي كنت قد وقعت على الأرض، وانحنى فريتز فوقي.

قلت : ـ فريتز!

أجاب في صوت رقيق كصوت امرأة :

ـ نعم يا صديقي.

ـ هل الملك حي ؟

أخرج منديله وأخذ يمسح به شفتي وقال بنفس الرقة :

ـ شكرا لرجلنا الشجاع الذي أبقى على حياته . . نعم ان الملك حي .

كانت القروية الصغيرة واقفة تشاهد المنظر وهي تبكي من الخوف والدهشة ، حاولت أن أطيب خاطرها بكلمة ، ولكني لم أستطع . كنت أشعر بالتعب والبرد فأسندت رأسي على ذراع فريتز ورحت في النوم !

* * *

علمت فيما بعد بتفاصيل ما حدث تلك الليلة في قلعة زندا . حكت لنا انطوانيت كيف كانت هناك معارك كثيرة بسببها بين روبرت ومايكل قبل هذه المعركة الأخيرة. وفي تلك الليلة جاء روبرت إلى غرفتها بعد انصراف مايكل . مما جعلها تصرخ طالبة النجدة قبل الموعد المحدد. بدا أول الأمر أن هذه الصرخة المبكرة قد قضت على أمالنا ، ولكن الذي حدث انها ساعدت هدفنا ، فقد تعارك روبرت ومايكل وتبارزا بسيفيهما ، ثم قفز روبرت من النافذة دون أن يعرف أنه قتل سيده .

أما عن سابت وفريتز فقد وصلا إلى بوابة القلعة كما هو متفق عليه ، وظلا ينتظران حتى الساعة الثانية والنصف ، ثم ذهب فريتز تنفيذا لأوامري للبحث عني على ضفاف الخندق المائي ، لم أكن هناك بالطبع ، فعاد وأبلغ سابت انه لم يعثر

علي، وقرر سابت أن يعود مسرعا إلى تارلنهايم ليجمع قوة يهاجم بها القلعة كما أمرته من قبل، ولكن فريتز رفض تنفيذ أوامري واكتفى بارسال عدد قليل من الرجال إلى تارلنهايم للبحث عن المارشال وقواته، واستخدم الباقي من الرجال في مهاجمة القلعة الجديدة، كانت أول غرفة يقتحمونها هي غرفة مايكل، وهناك وجدوه ملقى ميتا على الأرض.

بعدئذ اجتاز سابت وفريتز القنطرة دون أن يعرفا ما حدث للملك أو لي، لأن انطوانيت لم تستطع أن تخبرهما بأكثر من أنها رأتني فوق القنطرة، وأخيرا وصلا إلى الغرفة الخارجية ووجدا بيرسونين البلجيكي يرقد ميتا، قال سابت : حمدا للسماء . . لقد كان هنا »، وعندما عثرا على ديتشارد والطبيب والملك غارقين في الدماء، ظنا، أن كل شيء قد انتهى، ولكن سابت الخبير في أنواع الجروح وعلامات الموت، انحنى على الملك يفحصه فوجد أنه بالرغم من اصابته الخطيرة لايزال حيا ولن يلبث أن يشفى.
ثم أرسل سابت فريتز للبحث عني لأنه لم يجرؤ أن يرسل أحدا آخر، وحدث ما سبق أن رويته، وقد عثر فريتز على مكاني من صياحي على روبرت أن يقف، ولا أعتقد أن رجلا كان سعيدا بالعثور على أخيه حيا مثلماكان فريتز سعيدا بالعثور علي.

بقي أن نضمن أن يظل السر في طي الكتمان، أقسمت أنطوانيت وجـوهـان أن لا يقولا شيئا وقيل ان فريتز ذهب للبحث عن صديق الملك الذي سجنه الدوق في قلعة زندا، وأن الملك بعـد أن أنقذ صديقه أصيب بجراح خطيرة وهو يرقد في قلعة زندا، وأمرت الأميرة فلافيا بأن تبقى في تارلنهايم حتى يشفي الملك ويعود إليها، هذه هي قصة سابت التي شاعت في كل مكان وصدقها الجميع. الشيء الوحيد الذي كشف الحقيقـة، ويهـزم في الـواقع أكثر الخطط دهاء، هو عواطف المرأة.

فقد رفضت الأميرة فلافيا أوامر الملك، أو بالأحرى أوامر سابت، بأن تبقى في تارلنهايم بينما حبيبها جريح في زندا، فركبت عربتها رغم أنف المارشال ستراكنز الذي بذل جهوده دون نجـاح لابقائهـا في المنزل. وهكذا وصلت إلى حافة الغابة حيث كنت أرقد، وعندما أفقت من اغماءتي، رأيتها، وفهمت ما ينبغي أن أفعله، فحاولت الاختباء وراء بعض الاشجار، ولكننا كنا قد نسينا الفتاة القروية. جرت الفتاة إلى الأميرة، وصاحت:

ـ سيدتي ان الملك هنا . . وراء الاشجار . .

قال المارشال العجوز ستراكنز:

ـ هذا هراء يا طفلتي . . ان الملك يرقد جريحا في القلعة هناك .

قالت الفتاة :

ـ نعم يا سيدي . . أعلم أنه جريح ـ ولكنه مع الكونت فريتز فون تارلنهايم وليس في القلعة .

وحكت الفتاة ما شاهدته ، فابتسمت لها الأميرة ونزلت من العربة لترى ذلك السيد الذي يشبه الملك . وفي هذه اللحظة ظهر سابت الذي وصل بجواره من القلعة وحاول اقناع الأميرة بأن تواصل رحلتها إلى هناك .

وقال : ـ ان أي شاب وسيم هو ملك في عين فتاة مثل هذه .

صاحت الفتاة في دهشة :ـ هل يمكن أن يشبه الملك كما تشبه حبة الفول أختها ؟ !

ارتسمت على وجه المارشال أسئلة حائرة ، وأخذت فلافيا تجيل نظرها في الواقفين ، وانتشر الشك سريعا .

قالت فلافيا باصرار : ـ سأرى هذا الرجل !

همس سابت : ـ اذن ، تعالي معي وحدك . .

أطاعته بسبب غرابة نبرته ، فطلبت من المارشال والآخرين الانتظار ، وسارت هي وسابت على الاقدام إلى حيث أرقد ، أمر-سابت الفتاة القروية بالابتعاد بحركة من

يده، لم أستطع أن أنظر إلى فلافيا فدفنت وجهي بين يدي، وركع فريتز إلى جانبي ويده فوق كتفي.

صاحت فلافيا : ـ انه هو! هل أنت مصاب ؟

وجلست على الأرض بجانبي، وبرفق أبعدت يدي عن وجهي، وقالت : ـ انه الملك! لماذا حاولت أن تخدعني يا كولونيل.

لم يجبها أحد، وظللت أنا مركزا عيني على الارض، ثم وضعت ذراعها فوق ذراعي وبدأت تقول : رودلف . .

قال الكولونيل سابت في نبرة رقيقة : ـ انه ليس الملك!

ودلها وجه فريتز الشاحب على أن ما يقوله سابت صحيح . .



صاحت : ـ ولكنه رودلف . . حبيبي .

ـ إنه حبيبك يا سيدتي، ولكنه ليس الملك . . ان الملك راقد الآن في قلعة زندا .

قالت فلافيا : ـ انظر لي يا رودلف . . لماذا تدعهم يقولون مثل هذه الاشياء ؟

عندئذ تكلمت وأنا أنظر في عينيها :

فليغفر لي الله يا سيدتي . . انني لست الملك !

ازداد وجهها شحوبا ، ونظرت إلى سابت ، وإلى فريتز، ثم إلي مرة أخرى، وسقطت على وجهها مغشيا عليها ، جعلتها ترقد بليونة فوق الأرض وأنا ألعن قدري لأن سيف روبرت تركني حيا لأتحمل هذا الموقف . .

الفصل الثالث عشر

كان الوقت ليلا وكنت في الغرفة الصغيرة التي سجن فيها الملك، لقد أحضرني فريتز إلى هناك سرا، وكان جوهان قد أحضر لي عشاء خفيفا وأخبرني بما يجري في القلعة . . قال ان الأميرة قد رأت الملك، وانها هي وسابت وفريتز والمارشال (الذين أبلغوه القصة) جلسوا يتحدثون مدة طويلة.

وفي الخارج، أخذت تشيع قصص كثيرة عن السجين الغامض في قلعة زندا، قال البعض انه مات، وقال آخرون انه اختفى، واختلفوا أيضا فيمن يكون قالوا انه كان صديقا أجنبيا للملك وأنه ساعده في انجلترا أثناء رحلاته هناك . .

عندما مللت الاستماع إلى قصص جوهان، أمرته بالانصراف، وجاء فريتز لزيارتي، أبلغني أن الملك يريد أن يراني، فاجتزنا القنطرة ودخلنا الغرفة التي كان يقيم فيها مايكل الأسود . .

كان الملك ممددا هنـاك على السرير، وقـال الطبيب (وهو نفسه صديق فريتز من تارلنهايم) ان الزيارة يجب أن تكـون قصـيرة، مد الملك يده وصـافحني، وذهب فريتـز والـطبيب إلى ناحية النـافـذة. نزعت أنـا خاتم الملك من أصبعي ووضعته في أصبع الملك.

وقلت : ـ لقد حاولت أن أحتفظ بشرف هذا الخاتم يا مولاي.

قال الملك في صوت ضعيف : ـ لا أستطيع أن أتحدث كثيرا .. كنت أريد أن أبقيك معي هنا في روريتانيا، ولكن سابت والمارشال قالا إن ذلك مستحيل، وانه ينبغي الحفاظ على السر.

ـ هما على حق يا مولاي. دعـني اذهب. لقـد انتهت مهمتي هنا !

ـ نعم لقـد انتهت .. ليس هنـاك رجـل في العالم كان يمكن أن ينهيها كما فعلت أنت، سوف أطلق لحيتي وسأبدو متغيرا بسبب المرض، ولكني سأحاول أن أثبت للجميع ان لا شيء قد تغير في غير المظهر لقد علمتني كيف أكون ملكا.

وأغلق عينيه من شدة الاجهاد، قبلت يده، وجاء فريتز ليصحبني إلى الخارج، ولم أر الملك بعد ذلك أبدا.

وعندما خرجنا أخذني فريتز في طريق آخر غير الذي جئنا منه . وسألته

- إلى أين نحن ذاهبان ؟

- لقد طلبت الأميرة أن تراك ، عندما ينتهي اللقاء، اخرج إلى القنطرة، سأنتظرك هناك .

سألت بأنفاس لاهثة :

- ماذا تريد الأميرة مني ؟

هز رأسه ولم يجب بشيء ؟

- هل عرفت كل شيء ؟

- نعم .. كل شيء !

فتح فريتز بابا أمامي ودفعني للدخول في رفق ، وتركني وانصرف . كانت غرفة وثيرة الأثاث، وكانت الأميرة تقف في منتصف الغرفة ، مشيت نحوها ، وركعت أمامها على ركبتي ، وقبلت يدها. وقبل أن أدرك ما أقول انطلقت الكلمة من فمي :

- فلافيا . . !

رأيتها ترتجف قليلا وأنا أقوم واقفا على قدمي وأواجهها . وصاحت : - لا تقف . . لا تقف، لا يجب أن تفعل، أنت مصاب . أجلس هنا . . على هذه الأريكة .

جعلتني أجلس برفق، ووضعت يدها على جبهتي

وقالت :

ـ ان رأسك ساخن جدا .

كنت قد جئت لأطلب الصفح منها على تظاهري أمامها بأنني الملك ، ولكن الحب يجعل أي انسان ـ حتى لو كان غبيا ـ يعرف ما في قلب حبيبه ، لذا فقد كان كل ما قلته :

ـ انني أحبك بكل قلبي وروحي !

كنت أشعـر بأن ما يزعجهـا ويجعلها تشعر بالعار ليس تظاهري بأنني ملك ولكن أن أكون قد تظاهرت أمامها أيضا بالحب . .

لذا فقد كررت :

ـ انني أحبك . . ولن أحب امرأة أخرى في العالم كله سواك ، ولكن ليغفر لي الله خطئي في حقك .

قالت بسرعة :ـ لقد جعلوك تفعل هذا ، ولا تهمني مسألة التظاهر هذه سواء كنت أعرفها أو لا أعرفها . . لقد أحببتك أنت ، وليس الملك .

ـ لقـد حاولت أن أقـول لك الحقيقـة . . هل تذكرين عندما قاطعنا سابت في الحفلة الراقصة التي أقيمت في استرلسو.

أجابت بصوت خفيض : ـ أعرف . . لقد أخبروني بكل شيء .

قلت : ـ سوف أرحل هذه الليلة .

ـ لا . . لا . . لا . . ليس الليلة !

ـ يجب أن أرحل بأسرع ما يمكن حتى لا يراني المزيد من الناس . . وكيف يمكنني أن أبقى . . ؟

همست : ـ سوف أرحل معك !

صحت بها في خشونة : « كلا » . . ومشيت بعيدا عنها !

قالـت : ـ أنت على حق يا عزيزي رودلف . . إذا كان الحب هو كل ما يهم لكنت قد تبعتك في أسمال بالية إلى آخر الدنيا، ولكن هل الحب هو كل شيء ؟ إذا كان هو كل ما يهم لكنت أنت قد تركت الملك يموت في سجنه .

همست : ـ لقد كدت أفعل ذلك يا فلافيا !

ـ ولكن الشرف منعك من أن تفعل ذلك، الشرف أيضا يلزم المرأة يا رودلف، ان شرفي أن أكون مخلصة لبلادي، ولكني لن أخلع خاتمك من أصبعي ما حييت .

ـ وأنا أيضا سأظل محتفظا بخاتمك !

ثم ودعتها وخرجت . بينما كانت هي تكرر اسمي مرة بعد أخرى . .

قطعت القنـطرة بسرعة. كان معي سابت وفريتز، وقد أحضرا لي بعض المـلابس، فغـيرت ملابسي الممـزقة، ثم تلثمت كما فعلت ذلك مرة من قبل، وركبنا خيولنا وانطلقنا في الغابة، ووصلنا إلى محطة صغيرة للسكك الحديدية على الجانب الآخر للحدود ووقفنا ننتظر القطار ونحن نتحدث بصـوت خفيض عن هذا وذاك. وفجـأة رفـع فريتز قبعته وأمسك بيدي وقبلها قبل أن أستطيع أن أمنعه.

وقال وهو يحاول الضحك : ـ ان القدر لا يجعل الرجال الاكفاء دائما هم الملوك.

ولوى سابت العجوز شفتيه وهو يهز يدي :

ـ ان الشيطان كثيرا ما يتدخل في الأقدار :

وصل القطار، وصعدت إليه، كان هناك عدد قليل من الـركـاب، نظروا باستغـراب إلينـا بينما كان سابت وفريتز يرفعان قبعتيهما ويودعاني قائلين « إلى اللقاء ». ربما ظنوا أن شخصية كبـيرة تسـافـر في مهمـة سرية، ولابد أنهم كانوا يصـابـون بخيبـة الأمـل إذا علمـوا أن المسافر هو رودلف راسنديل الابن الأصغر لأسرة انجليزية، ولكن بغض النظر عما اكـونـه الآن فقد كنت ملكا لمدة ثلاثة أشهر، ولكني لم استغرق طويلا في التفكير في التجربة إذ عندما كان القطار

يجري لاهثا مبتعدا عن روريتانيا كانت تخترق أذني صيحة
تبدو قادمة من بعيد لامرأة محبة : رودلف . . رودلف !
ولا أزال أسمع هذه الصيحة الان ! !

* * *

ان تفاصيل عودتي إلى وطني لا تستحق كثيرا من الاهتمام،
ذهبت مباشرة إلى جبال الألب حيث قضيت عشرة أيام في
هدوء، وأرسلت من هنـاك كارت بريد إلى أخي روبـرت
ذكرت فيه أنني سأعود قريبا، وأطلقت لحيتي مرة أخرى.

في طريق عودتي خلال باريس، قابـلت صديقـي مرة
أخـرى، كان مقتنعـا تمامـا أنني كنت في روريتـانيا متعقبا
انطوانيت دي موبان التي عادت، كما أخبرني، إلى باريس.

وكان يريد أن أحكي له ما أعرف عن قصة مهاجمة مايكل
الأسـود للملك لأن لا أحـد، كما قال، يصـدق ما ذكرته
الصحف في هذا الصدد، ولكنه لم يحصل على أية معلومات
مني.

وعندما عدت إلى المنزل وجدت روز في غاية الضيق لأنني
لم أكتب أي خطاب، بل حتى لم أجمع أية مذكرات أو
ملاحظات.

وقالت : ـ لقد أضعنا وقتا طويلا في محاولة العثور عليك !

قلت : ـ أعرف ذلك . . ولكن لماذا هذا الاهتمام ؟ يمكنني أن أعني بنفسي بما فيه الكفاية .

أجابت : ـ ليس الأمر كذلك، ولكني كنت أريد أن أخبرك بأن سير جاكوب بوروديل قد عين سفيرا بالفعل، وهو يريد أن يأخذك معه كملحق .

ـ إلى أين هو ذاهب ؟

قالت روز : ـ إلى استرلسو . . أعتقد أنها مكان لطيف جدا . .

قلت في تصميم ! : ـ لن أذهب معه !

قالت تستحثني : ـ انك قد تصبح سفيرا أنت نفسك . .

ـ لا أريد أن أكون سفيرا .

قالت وهي ضائقة برفضي :

ـ انك لن تصل إلى مثل هذا المنصب بسهولة !

قد يكون ذلك صحيحا بالفعل، ولكن فكرة أن أكون سفيرا لم تكن تجتذبني . . فقد كنت ملكا !

انصرفت رزو، والتقط أخي روبرت صحيفة مصورة كانت فيها صورة فوتوغرافية لحفل التتويج في استرلسو، أخذت أنظر إليها، هذا هو سابت إلى جانبي ، والمارشال وفريتز إلى الخلف كما يظهر في الصورة الكاردينال ومايكل الأسود والأميرة .

وراح أخي يحدق في وجهي باستغراب، ثم ينظر إلى صورة الملك بامعان وقال : ـ يا له من شبه عجيب !

لم أقل شيئا، فبالرغم من أن روبرت علاوة على أنه أخ كان من أعز أصدقائي وأستطيع أن أأتمنه على أسراري إلا أنني لم أخبره بهذا السر، لأنه ليس سري أنا.



ومنذ ذلك الحين سارت حياتي في هدوء، ولكني أذهب مرة كل عام إلى قرية صغيرة بالقرب من حدود روريتانيا وهناك التقي مع فريتز الذي تزوج الآن وعاش سعيدا مع الكونتيسة هيلجا، حيث نقضي أسبوعا سويا، ويحكي لي فريتز كل أخبار استرلسو . . نتكلم عن سابت والملك وروبرت الصغير، وفي الأمسيات نتحدث عن فلافيا لأن فريتز يحضر لي منها كل عام وردة حمراء حولها شريط من الورق يحمل هذه الكلمات « رودلف » ـ فلافيا ـ إلى الأبد » .

أنا أيضا أفعل نفس الشيء، أرسل وردة سنويا إليها . . تلك التي أصبحت ملكة على روريتانيا، ولكنها ستظل دائما مليكة قلبي !

ولازلت أتدرب على السيف، فلدي شعور غامض بأنني في يوم من الأيام سوف التقي بروبرت الصغير مرة أخرى وننهي القتال الذي انقطع فيما بيننا في غابة زندا المظلمة الباردة.

من يدري ؟ !

تم طبع هذا الكتاب على مطابع
دار المعـارف للطباعـة والنشـر
بسوسة ـ الجمهورية التونسية

هذا المؤلف وهذه الرواية

تعتبر رواية ـ سجين زندا ـ نقطة تحول في حياة أنتوني هوب . لقد اختار منحى سياسيا واشتغل بالمحاماة في بداية حياته رغم ميوله المبكر للأدب إلا أن مؤلفاته الأولى لم تنل نجاحا يذكر .

ولكن بظهور رواية ـ سجين زندا ـ سنة 1894 التي حققت نجاحا واسعا منقطع النظير، تغير مصير حياة المؤلف وقرر التفرغ كلية للأدب والتأليف ، وهكذا أصبح أنتوني هوب أحد أقطاب الأدب الروائي العالمي . ورواية سجين زندا ، من نوع الأدب الخيالي ، نالت إعجاب النقاد والدارسين
رائعة سينمائية عدة مرات .

الطبعة الأولى : مارس 1994
تدمك : ISBN 9973 ـ 16 ـ 359 ـ 1
تم طبع خمسة آلاف نسخة من هذا الكتاب . الثمن : 1.500 د . ت .